

سيدنا ناصر الدين عبيدالله أحرار بن محمود بن شهاب الدين الشاشي السمرقندي قَدَسَ اللهُ سرَّهُ

قطب دائرة العارفين وبحر علم لا تنقصه كثرة العارفين . مَلَكَ من أبنار الأنوار الذاتية أحرارها وكشف عن أقمار الأسرار الصفاتية أسرارها ، إذ مال من عهد المهدي إلى الكمال . وقد أوتي الحكم صبيياً وشمر عن ساعد الجد لتحصيل أثيل المجد ، لأنه لو كان العلم في الثريا وما مال إلى أهل ولا مال حتى نال من مقامات الأولياء ما نال ، إلى تجليات ذاتية وعلوم غيبية وحقائق عليه أحياء بها الله هذا الطريق . فأيد أهله وأيد فضله وجمع شمله ونظم نثار السلف الأسمى . وانتظم في سلك أولي الخلافة الروحانية العظمى وسعى وسعه في إنقاذ القلوب مما مسها من غمار الأغيار من اللُغوب ، إذ أصبح شمساً ترشد السالكين إلى طريق حق اليقين والإسلام على كنوز المعارف الخفية ومخدرات الحقائق اللدنية .

(ولد قَدَسَ اللهُ سرَّهُ) في (شاش) سنة ست وثمانمائة في شهر رمضان . نُقل أنه حصل لوالده جُذبة عظيمة صرفته عن أعمال الدنيا بالكلية ، فصار يميل للرياضة الشاقة وتقليل الطعام والنام وترك الإختلاط مع الخواص فضلاً عن العوام . واستمر كذلك أربعة أشهر ففي أثناءها حملت به أمه . فسكن ما به وعاد لحاله وقد بشر به قبل ولادته العارف الكبير سيدنا الشيخ نظام الدين خاموش السمرقندي قَدَسَ سرَّهُ .

(ذكر) المولى الشيخ محمد السربلي أن الشيخ نظام الدين جاء إلى بيت أبيه يوماً قال وكان أبي مخلصاً في محبته والإعتقاد به . فبينما هو جالس للمراقبة إذا صاح صيحة عظيمة فلما إنصرف سأله عن سبب صيحته ، فقال له : ظهر من جانب الشرق رجل يقال له عبيدالله يوشك أن يصير شيخاً عظيم الشأن يسخر الله له العالم كله . قال فلما سمعت اسمه منه جعلت أنتظر ظهوره ، فكننت أول من تشرف باتباعه والإنتظام في سلك أتباعه . أه . وسأذكر من تفصيل أحواله إجمالاً جميلاً مقتصراً على ما هو أقوى وأقوم قبلاً .

بداية حاله في حال بدايته

كانت سيماء السعادة في أيام الصبا عليه ظاهرة وأنوار الهداية في أسارير وجهه باهرة . (نقل) بعض أقاربه الكرام أنه قَدَسَ اللهُ سرَّهُ لم يقبل حين ولد ثدي والدته حتى طهرت من النُفاس . (وكان قَدَسَ اللهُ سرَّهُ) يقول : إني حفظت كلاماً كنت سمعته وأنا ابن سنة .

(وقال قَدَسَ اللهُ سرَّهُ) إني منذ كان عمري ثلاث سنين وأنا في الحضور مع الله تعالى حتى كنت أذهب إلى المكتب وأقرأ عند الشيخ وقلبي معلق مع الله تعالى وكنت أحسب أن جميع الناس كذلك . (لقد) خرجتُ زمن الشتاء إلى الصحراء ففاصت قدمي من النعل في الطين - وكان الوقت شديد البرودة - فباهتمت بنزعم قدمي ففعلت عن الله تعالى بهذا المقدار . وكان ثمَّ رجل يحرق على بقر فجعلت ألوم نفسي وأقول لها انظري إلى هذا الحراث على ما هو عليه من العمل لم يفعل عن الله عز وجل . ولاغرو إذ كان جده لأبيه الإمام الجليل الشيخ محمد النامي وهو من أعظم أصحاب القطب الكبير أبي بكر محمد بن

إسماعيل القفال الشاشي . وتربى في حجر خاله علامة وقته وبركه عصره الشيخ إبراهيم الشاشي قدس
الله أسرارهم .

(وقال قدس الله سره) أول ما كتب لي خالي للتعليم هذا البيت :

بواطن أهل الله مثل ظواهر فطوبى لمن أبى الخفيات تحقيقاً

ثم لم يالك جهداً في أن أتعلم حتى أرسلني من تاشكند الى سمرقند رجاء ذلك . فكنيت كلما ذهبت الى
الدرس أصابني مرض يمنعي عنه . فذكرت له حالي وإنك إن كلفتنني بالتحصيل ربما أموت . فتوقف
وقال : "يا ولدي أنا أعلم حقيقة حالك فإذهب وافعل ما تريد" . وأردت أن أقرأ يوماً فرمدمت عياني ولم أزل
كذلك خمسة وأربعين يوماً فحينئذ تركت ولم أصل في القراءة إلا الى المصباح في النحو .

(وقال قدس الله سره) بت أيام الطفولة عند ضريح الشيخ أبي بكر القفال رضي الله عنه فرأيت في
المنام سيدنا عيسى عليه السلام فأهويت الى قدميه الشريفتين لأقبلهما . فرفم رأسي وقال لي "لاتحزن
فانا أربيك" . فقصصتها على بعض الفضلاء فعبرها بعلم الطب فلم أرض بهذا التعبير . وقلت له تعبيرها
عندي أن عيسى عليه السلام مظهر الأحياء وكل من نال هذا المقام من الأولياء يُقال له عيسوي ، وإذ
تعمدني بالتربية فلا بد أن أتلك مقام إحياء القلوب . فلم ألبث أن أعطاني الله هذا المقام .

(وقال قدس الله سره) رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في البداية ليلة عند ذيل جبل عظيم عال
ومعه جم غفير فأمرني أن أحمله فأصعد به الجبل . فحملته الى أعلى على عنقي فأعجبته ، وقال لي صلى
الله عليه وسلم "إني أعلم أن لك هذه القوة غير أنني أحببت إظهارها للناس" .

(وقال قدس الله سره) رأيت في البداية سيدنا شاه نقشبند رضي الله عنه ليلة قد جاء وتصرف في
باطني ثم ذهب فتبعته ، فلما أدركته التفت اليّ وقال بارك الله بك .

(وكانت) يغلب عليّ وهم قوي بحيث لا أقدر أن أخرج وحدي ليلاً . فورد عليّ ليلة وارد قوي اضطرنني
للخروج من الدار وكانت ليلة مظلمة . فخرجت حتى أتيت ضريح الشيخ أبي بكر القفال رضي الله عنه ثم
ذهبت لزيارة أكثر قبور الصالحين . فذهب وهمي من حينئذ حتى إنني خرجت ليلة لزيارة الشيخ كوي
عارفان قدس الله سره ، فجلست عند قبره المبارك وكان في مكان بعيد منحرف عن الطريق - وكان يومئذ
في تاشكند مجنون هائل الصورة بشييم المنظر مزعج الصوت معتاك تخافه الناس جداً حتى عدا مرة على
شخص فقتله . فبينما أنا جالس ثم للمراقبة إذ حضر ذلك المجنون وجعل يصيح بصوت كريحه أن اخرج من
ذلك المكان . فلم ألتفت اليه فقطع من شجر هنالك حطباً وجعله حزمة وأتى بها ليوقدها من السراج
المعلق على الضريح ويلقيها على رأسي . فبحكمة الله تعالى ثارت نسمة فأطفت السراج ، فزاد جنونه
وأخذ يشتمني أقبح شتم ، ولم يزل كذلك حتى مطلع الفجر . كل ذلك ولم أخف منه ولم أكثر به ولا حصل
لي تفرقة أصلاً . ثم مضى فأتى السوق فإغتال شخصاً فأخذه فقتلوه .

وعن نجله أن الشيخ كلان قدس الله سره أن عمته (قال) وكانت من النساء العارفات أخبرته أن الشيخ
رضي الله عنه كان في بداية حاله وهو في تاشكند إذا حصل له قبض يخرج ويدخل من باب الدار ، وكما
خرج بصورة يدخل بصورة أخرى ويكرر ذلك نحو عشر مرات . فكان كلما دخل بصورة فزع منه النساء اللاتي
في البيت حذراً من أن يكون أجنبياً ، فيبتسم من ذلك فيذهب قبضه .

ومن نحلته في رحلته

رحل قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ من تاشكند الى سمرقند فصحب بها الفوئ الأعظم الشيخ نظام الدين الخاموش مدة . ثم قصد بخارى وكان وقتئذ سنّه إثنين وعشرين سنة . فلقني خلال طريقه العارف الكبير الشيخ سراج الدين الپيرمسي في پيرمس (وهي بباء فارسية فتحثية فراء مهملة فميم فسین مهملة) قرية من قرى وابكن على أربعة أميال من بخارى . ولقد رأيته يشغل كل نهاره بالفخار فاذا أقبل الليل جلس في مصلاه جلوس التشهد فلا يتحول من جهة الى جهة أصلاً الى الفجر . وكان من المتضلعين في العلوم كلها . أه . (ثم) بعد أن أقام عنده سبعة أيام قدم بخارى فصحب بها الإمام الكبير الشيخ حميدالدين الشاشي والقطب الشهير الشيخ علاءالدين الفجدواني . وكان من كبار أصحاب سيدنا شاه نقشبند قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُما العزيز .

(يقول نَوَّرَ الله مرقده) كان الشيخ المشار اليه يغلب عليه الإستغراق والغيبة حتى كان يغيب في غضون الكلام . وكان حسن الحديث حريصاً على الذكر والمجاهدة لقيته وقد بلغ التسعين بتقديم الفوقية . فكنت أكثر من زيارته وذهبت مرة لزيارة ضريح سيدنا شاه نقشبند رضي الله عنه ماشياً ، فلما رجعت استقبلني الشيخ في نصف الطريق فقال : حسبت أنك تبيت ثم فأتيت لأجلك . فعدت معه الى الزيارة حتى إذا صلينا العشاء قال لي : هلم نحيا هذه الليلة . ثم جلس متوركاً الى طلوع الفجر ولم ينتقل من جنب الى جنب ولا يتأتى مثل هذا الثبات إلا بحضور تام ومشاهدة كاملة وإلا فليس هذا في طوق البشر لاسيما مع كبر السن .

وأما أنا فقد تعبت من كثرة المشي ولم يسعني إلا موافقته في الجلوس . فأقمت مثله الى نصف الليل ثم عجزت فقممت وجئت عنده فجعلت أهمزه ليزول عني النوم والكسل . فلما شرعت بذلك قال : أتخفيفاً لأثقالني ؟ فقلت : بل لم أطق الجلوس فأردت أن أخفف عن نفسي وأستريح . وكنت في بداية أمري على غاية من الإضطراب حتى صحبتته فتبدل الإضطراب بالتمكين . (وكنتم) أظن أن مراد المرید موقوف على التفات الشيخ ، فلما صحبتته قال لي عليك بدوام الذكر والسعي فيه . فإن كل ما يصل بلا مشقة لا بقاء له فابذل الجهد في المجاهدة وتحمل المشاق الزائدة . أه .

(ثم) ذهب الى هراة فلقني بها كبير العارفين السيد قاسم التبريزي قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ وهو من كبار أصحاب سيدنا شاه نقشبند رضي الله عنه .

(يقول قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ) صحبت مشايخ كثيرين فلم أر أعظم حالاً منه ولا أكبر ، فإن كل ما حصلته من غيره لم أجده شيئاً بالنسبة الى ما نلت منه . وكنتم إذ رأيته أشهد جميع الكائنات تطوف به ثم تدخل في باطنه وتتلاشى . فكنت أتى كل يوم الى بابه ولأدخل عليه إلا في كل يومين أو ثلاثة مرة . فكان الناس يعجبون لذلك ويقولون لي كيف يكون قد أذن لك بالدخول ولا تدخل ولو أنه أذن لنا لما خرجنا من عنده . وكان يحتجب فلما وصلت اليه أمر حاجبه أن لا يمنعني في أي وقت ما أتيت .

(وسألني) أول مالقيته : ما اسمك ؟ فقلت : عبيدالله . فقال : عليك التحقق باسمك ، وقال لي ، أتعلم لم لاتظهر المعارف والحقائق في هذا الزمن ؟ لأن ظهورها موقوف على التصفية وهي موقوفة على حل الطعام فلما فُقد فُقدت فلم تظهر المعارف وكيف تظهر من القلوب الساهية المظلمة الالهية . (ورأيت ليلة) كاني في طريق واسم عظيم يتشعب منه طرقت عديدة كلها ضيقة ورأيت الشيخ زين

الدين الخوافي واقفاً على طريق من تلك الطرق ، فجاء وأخذ بيدي وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "السماع أهل لأهل الله" . ثم أحب ان يذهب بي الى قريته فما مال قلبي اليه . فبينما نحن كذلك إذ طلعت علينا مولانا السيد قاسم قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ من طريق واسع راكباً على فرس أبيض فقال لي هذا الطريق يوصلك الى المدينة فلم أوصلك اليها ، وأردفني خلفه ومشى على ذلك الطريق .
(ونقل) عن الشيخ فتح الله التبريزي أنه قال : صحبت حضرة السيد قاسم قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ وبي ميل عظيم لتحصيل علم التصوف حتى كنت أتفكر في بعض الأوقات في مسألة واحدة من العشاء الى الفجر . فبينما أنا جالس عنده يوماً قال لي "ذكر كلام القوم وحكاياتهم وإن كان فيه فوائد جمّة إلا أن باب المقصود لا يفتح بمجرد القيل والقال والسماع ، بل هو موقوف على الخدمة والرياضة والمشقة والممة . فإن شئت أن تنال ما ناله الأولياء فتمسك بأذيال هذا الشاب" . وأشار الى الشيخ عبيدالله "فإنه أعجوبة الزمان وعن قريب يستنير العالم بنور سرّه وتحيا القلوب الميتة حياة أبدية ببركته" . فما زلت أتقرب ذلك حتى أتى في عهد السلطان أبي سعيد الى سمرقند فذهبت لزيارته غير مرة وشاهدت منه أكثر مما قاله السيد قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ .

(ولقي) في هراة أيضاً الإمام الجليل الشيخ بهاء الدين عمر الخراساني قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ يقول ما أعجبني من بين أحوال مشايخ خراسان إلا حال الشيخ عمر وطوره . فإنه كان يجلس لملاقات الناس يومه كله وكل من أتى عنده كلمه بما يوافق حالته وعقله وصناعته ولا يميز نفسه عن إخوانه إلا في الرياضة فقط .
(ثم) صحب سيدنا الشيخ يعقوب الجرجي قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ . (يقول نور الله مرقدته) لما سمعت به وأنا ذاهب الى بخارى عزم منصرفي منها على زيارته . فوصلت الى جفانيان فمكثت بها مريضاً عشرين يوماً ، وكان أهلها ينكرون على الشيخ فصاروا يغتابونه عندي . فضعف إعتقادي به من كلامهم ثم قلت في نفسي إنني جئت من مسافة بعيدة فلا ينبغي أن أرجع قبل لقائه . فذهبت اليه فالتفت اليّ التفتاً تاماً ثم ذهبت في اليوم الثاني فغضب غضباً شديداً ، ففهمت تلويحاً أن ذلك من الإصغاء لكلام المنكرين والعزم على ترك زيارته . فلما سكت عنه الغضب عاد الى التفتات السابقة وجعل يذكر سبب إجتماعه بسيدنا شاه نقشبند ومدّ يده اليّ وقال : بايعني فتوقفت عن أخذها لبياض كان في جبهته كالبرص . فلما شعر بذلك قبض يده ثم ظهر على طريقة الخلم واللبس بصورة حسنة مهابة فزال عني إختياري ثم مدّ يده وأخذ بيدي وقال : قال لي الشاه نقشبند حين بايعني يدك يدي فممت أخذها فقد أخذ يدي فأنت أخذ بيد الشاه نقشبند فبايعم ولا تتوقف . فبايعته ثم علمني طريق الخواجكات بالنفي والإثبات وهو المسمى بالوقوف العددي . وقال : هذا ما وصل اليّ من حضرة الشاه نقشبند وإن شئت أن تربى الطالبين بطريق الجذبة فلك الخيار .

(وروي) أن بعض أصحاب الشيخ يعقوب قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ قال له الآن لقتته الطريق وتخيره في تربية السالكين بين الجذبة والذكر فكيف هذا ؟ فقال هو رجل كامل لا يحتاج إلا الى الإذن فإن الله أعطاه غاية القوة ومن أراد أن يجيء عند الشيخ فليكن مثل هذا . فإن الأسباب فيه موفرة والمعدات مستحضرة هياً السراج والفتيلة والزيت وترقّب الكبريت .

ومن تفرّده في تجرّده

(قال قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ) كنت على عهد ميرزا شاه رخ في هراة لأملك فلساً حتى مررت يوماً في سوق

الملك فأتاني سائل يسألني صدقة تجاه دكان طباخ . فأتيت الطباخ فأعطيته عمامتي ، وكانت قد تمزقت كل ممزق حتى صارت كالفتايل وقلت له : "اغسل بهذه القدر وأطعم هذا السائل" . فأطعمه ورد إلي عمامتي ، فما قبلتها ومضيت .

(وكنت) أوائل السفر الى هراة في الشتاء مع مولانا مسافر قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ وكان من أصحاب حضرة مولانا شاه نقشبند رضي الله عنه في خلوة واحدة لها باب الى الطريق وأرض الطريق أعلى منها . فكان إذا نزل المطر تمطليء من ماء الطريق وطينه وثيابي رقيقة جداً لاتدفع البرد ، فأكابد من ذلك مشقة عظيمة . وبقيت في هراة خمس سنين في صحبة الشيخ بهاءالدين عمر فما ذقت من عنده شيئاً إلا مرتين . مرة كانت عند وليمة ومرة كان صائماً فأفطر على تفام فأعطاني قسماً منه .

(قال) وكان في هراة رجل رئيس الصيغ والصيارفة ومحباً للسادة الخواجان قد تلمذ للشيخ محمد پارسا ، فبلغه أنني لاأكل من طعام أحد في هراة احتياطاً . فجاءني مستهل شهر رمضان وحلف علي بالطلاق أن لاأكل إلا عنده . فحذراً من وقوم الطلاق عليه صرت أكل من بيته . وكان على غاية من الأدب والشفقة والخدمة ولم يكن لي وقتنذ قدرة على مكافاته . فلما أقدرنى الحق تعالى كان توفي فأرسلت الى ولده عشرة آلاف دينار وغيرها .

(وكان قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ) لايقبل هدية أحد أصلاً حتى أن الرجل الصالح العديم النظير الشيخ أحمد الكاريري -أحد خواص العارف الشهير الشيخ سعدالدين الكاشغري قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ- أهدى إليه بعد إنتقال الشيخ جبة من صوف أبيض رقيق وكانت من مال حلال . فقال هذه هدية رجل صالح كان ينبغي أن ألبسها غير أنني الى هذا اليوم لم أأخذ من أحد شيئاً ولا قبلت هدية أحد . فاعتذروا لي منه ، ثم ردها مع هدية منه اليه .

من إخفاء أحواله في إنماء أمواله

(قال قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ) كنت أتردد وأنا متجرد في هراة لزيارة السيد قاسم التبريزي كثيراً فكان إذا أكل الطعام يعطيني سؤره ويقول لي : "ياشيخ زاده ستصير دنياك قبابك" وكنت يومئذ لأملك شيئاً ، إنتهى .

وكان الأمر كما بشر . فإنه لما خرج من تاشكند مع خاله الى سمرقند كان سنه عشرين سنة فبقي أربع سنوات يختلف الى المشايخ من أهل ماوراء النهر . ثم عزم على هراة فأقام بها خمس سنين . ثم عاد الى وطنه وسنه تسع وعشرون سنة واختار الإشتغال بالزراعة ، فما تيسر له الأفدان من بقر شركة شخص آخر . فبارك الله في زراعته حتى نمت نمواً عظيماً . (قال) صاحب "الرشحات" ولقد سألت مرة بعض خدامه عن عدد أماكنت زراعته فقال هي أكثر من ألف وثمانمائة مزرعة . (ونزلت) يوماً في قرية (قرش) عند عامل زراعته ، فسألته عن عدد مزارعه . فقال لي أنا عامل مزرعة واحدة من ألف وثلاثمائة مزرعة . فسألته عن عدد فدادين المزرعة فقال ثلاثة آلاف فدان .

من رأفته العامة للخاصة والعامة

(قال قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ) نزلت في سمرقند في مدرسة قطب الدين الصدر ، فوجدت فيها أربعة في الحمى . فجلعت أخدمهم وأغسل ثيابهم وأمتعتهم فمن فرط المشقة أصابتني الحمى ، واني ذات ليلة وأنا في الحمى أتيت بأربع جرار من ماء وغسلت لهم الأثواب والبسط ولم أترك خدمتهم . (وكنت) وأنا في هراة أذهب الى حمام الشيخ عبدالله الأنصاري ، فأخدم الناس فيه لأميز بين الحر

والعبد ، والغني والفقير في الخدمة حتى إني دلّكت يوماً ستة عشر نفراً وماأخذت من أحد شيئاً أصلاً . وإن السادات كانوا ينظرون الى الوقت فيعملون بمقتضاه ويشغلون بالذكر والمراقبة حيث لم تكن خدمة لأحد . فإذا احتاج مسلم لخدمة أثروها وذلك أن الخدمة سبب لقبول القلوب وهو مقدّم على الذكر والمراقبة . وظن بعض الناس أن الإشتغال بالنوافل أولى من الخدمة وليس كذلك . فإن نتيجة الخدمة المحبة وميل القلوب لأنها جُبلت على حبّ مَنْ أحسن إليها وفرّق بين ثمرة النوافل وثمره الخدمة . ولهذا كان سيدنا شاه نقشبند وأتباعه قدّس الله أسرارهم لايقبلون خدمة أحد بسهولة ، لأن الخدمة والتواضع من الإحسان وحب المحسن أمر جبليّ وعلى قدر حبه يكون التعلّق به . والتعلّق حجاب فلايريدون التعلّق بأحد بوجه من الوجوه ، بل كانوا يسعون في أن يخدموا ولايستخدموا .

(يقول حضرة الشاه نقشبند رضي الله عنه) ماأخذت هذا الطريق من الكتب بل من الخدمة وهذا فائدتها . ويقول كل أحد يدخل من باب وأنا دخلت من باب الخدمة ، فمن أحبه أمره بالخدمة وأنشد بالفارسية بيتاً معرّبه :

الى شرفات العرش يوصلك الخدم فاسلم منها مارقتُ سلماً قدم

(وكان قدّس الله سرّه) شديد المراعاة للأداب الظاهرة والباطنة في كافة أحواله وأحيانه خلوة وجلوة . فقد قال أبو سعيد الأوبهي رحمه الله تعالى إني صحبته خمساً وثلاثين سنة لم أفارقه قط فما رأيت له تلك المدة إذا أكل عنباً أو تفاحاً أخرج من فمه نواة أو قشرة ولا رأيت له تئاءب أو إستنثر أو أخرج من فمه بصاقاً أو صدر عنه مما يكره . وكذلك قال صاحب "الرشحات" قدّس سرّه وأنه لم يره يجلس متربحاً قط لا في خلوة ولا في جلوة .

ومن آثاره في إيثاره

نُقل أنه توجه بأصحابه أيام الربيع الى بلاد (كش) فلما أقبل الليل نزل قرب الجبل ولم يكن معهم إلا خيمة واحدة فضربت له . فما لبثوا أن جاءت السماء بماء منهمر وذلك بعد العشاء . فخرج قدّس الله سرّه من الخيمة وقال لأصحابه ادخلوها فإن لي شكاً في طهارتها وشدد عليهم فدخلوها وبقي قدّس الله سرّه ظاهر الخيمة والمطر تصب فوق رأسه حتى طلّم الفجر . فبعد صلاة الفجر أسرّ الى بعض أصحابه إني إستحييت أن أستظل في الخيمة وأصحابي تحت المطر .

(وخرج) يوماً في شدة القيظ الى مزرعة وماكان عند الزرام إلا خيمة واحدة فنُصبت له . فقبل أن يشتد الحرّ خرج فركب فرسه وقال لأصحابه اجلسوا إني أريد أن أنظر الى الأرض وزرعها . فجعل يدور هكذا وهكذا وإذا اشتد عليه الحرّ يأوي الى بعض المغارات وربما كان رأسه في الظل وجسده في الشمس . ولم يزل كذلك حتى برد الهواء فرجع الى أصحابه وقد علموا انه لم يقصد بذلك إلا إراحتهم وإيثارهم .

ومن كراماته في كلماته

(قال قدّس الله سرّه) في قوله تعالى (الحمد لله رب العالمين) كمال الحمد أن يحمّد العبد ويعرف أنه لا حامد إلا هو تعالى وأنه هو عدم محض لا رسم له ولا اسم ولا فعل ، وإنما يبتهم سروراً بكونه تعالى جعله مظهراً لصفاته .

(وقال) في قوله تعالى (وقليل من عبادي الشكور) الشكور في الحقيقة مَنْ يشاهد المنعم في النعمة . (وقال قدّس الله سرّه) في قوله تعالى (وأعرض عمن تولى عن ذكرنا) أي أعرض عمن إستغرف

واستهلك في ذات الله تعالى . فلا يذكره وإن حصل له فتور في الشهود فلا تكلفه بالذكر . أه .
(قلت) واليه يشير ختم الأولياء المحمديين الشيخ الأكبر محي الدين رضي الله عنه بقوله :

بذكر الله تزداد الذنوب وتنطمس البصائر والقلوب
وترك الذكر أفضل منه حالاً فبات الشمس ليس لها غروب

(وقال قدس الله سره) في قوله تعالى (وكونوا مع الصادقين) هذه المعية إما حسية : وهي مصابحتهم
ومجالستهم ، فمن داوم على ذلك نور الله قلبه بانوار باطنهم وأنعم عليه بالتحقق من أخلاقهم . وإما
معنوية : وهي أن يكون متوجهاً لروحانيتهم رابطاً قلبه بهم بحيث يكون مستحضراً لهم غيبة وحضور .
فإنه إذا أحكم هذا الارتباط القلبي انعكس عليه جميع أسرارهم . أو المراد من هذا الأمر الواجب الإمتثال أن
الطالب ينبغي أن يربط قلبه بالصادق وهو من تنزه عن الغير والسوا . يُقال رمح صدوق أي لا إنحراف فيه
ولا إعوجاج . أي فلا ينبغي أن يلتفت الى شيء آخر حتى التجليات الأسمائية والصفاتية . أو المراد كُن عاشقاً
واصحب العشاق لا غير . فإن كان أستاذك نحوياً فلا بد أن تصير نحوياً أو محوياً فمحوياً :

جليس إمام النحو يرتقي وصاحب قيس المحو يبرم في المحو

لأن الله تعالى قد أعطى الإنسان صفة التأثير والتأثر بالصحة . فلا عمل أنعم ولا أجذب للأحوال منها
بدليل جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلات .

(وقال) في (لا إله إلا الله) بعض الأكابر هي ذكر العوام (الله) ذكر الخواص وهو ذكر خواص الخواص .
وعندي أن (لا إله إلا الله) ذكر خواص الخواص لأنه لا نهاية لتجلياته تعالى ولا تكرار فيها . ففي كل أن ينفي
صفة ويثبت صفة فلا يخلو أيد الأبدان من نفي وإثبات . (وقال قدس الله سره) في قوله تعالى (قل الله)
المراد أن يكون العبد متوجهاً الى الذات البحت لا إلى الصفات . (وقال قدس الله سره) في قوله تعالى
(يا أيها الذين آمنوا آمنوا) أي يأيها الذين ربطوا قلوبهم بالله تعالوا آمنوا إن هذا منه تعالى لا منكم .
(وقال) في قوله تعالى (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) يحتمل أن يكون
قوله تعالى ظالم لنفسه إشارة الى من من نفسه عن اللذات وما أعطاها مرادها في جميع الأحوال ، فصار
مستعداً لقبول الفيض الإلهي . وحينئذ يكون مقدماً على المقتصد وهو مقدم على السابق . أه .

(قلت) ذكر هذا المعنى ختم الأولياء المحمديين الشيخ الأكبر محي الدين رضي الله عنه وفرق بين
الظالم لنفسه والظالم نفسه . واستدل لأول هذه الآية وللثاني بقوله تعالى (بل كانوا أنفسهم يظلمون)
فقد ظلم نفسه وإن الأول سعيد والثاني ضده .

(وقال قدس الله سره) في معنى قوله تعالى (لمن الملك اليوم) يحتمل أن يكون المراد بالملك قلب
السالك . فإنه إذا تجلى الحق تعالى على قلبه بالتجلي القهري يمحو منه الغير والسوء والسوا فلا يبقى فيه
إلا هو . فلا جرم يسمع في هذا القلب (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار . وسبحاني ما أعظم شأني . وأنا
الحق . وهل في الدارين غيري) ونحو ذلك من هذا المقام . (وقال قدس الله سره) يوماً لأصحابه لم
لاتدخلون الأسواق وتعملون عملاً ينفع الناس فاسعوا ليحصل لكم شهود الأودية في الكثرة . فقد قال
بعض المشايخ في معنى قوله تعالى (إنا أعطيناك الكوثر) أي أعطيناك شهود الأودية في الكثرة . (وقال
قدس الله سره) في خلال الكلام على تفسير قوله تعالى (كل يوم هو في شأن) أن للبقاء بعد الفناء
معنيين : أحدهما أن السالك بعدما يتحقق ويتمكن في شهود الذات ويرجم من الإستغراق والغيبة الى
الحضور والحس يصير مظهر تجليات أسماء الأفعال ، ويجد في نفسه آثار الأسماء الكونية ويميز بينها

ويحصل له خط خاص من كل اسم . ثانيهما أن يجد في نفسه في كل أن وجزء لا يتجزأ من الزمان أثراً من الآثار الذاتية التي لا توجد في خارج الأعيان أننا فأننا يشاهد هذه الآثار المتنوعة الملتوية في نفسه . وباعتبار اختلافها يميز أزمعتها وهذا نادر لا يكون إلا قليلاً وأهله في كل زمان على غاية العزّة وكل يوم هو في شأن تؤيد ما ذكرنا .

(وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) في معنى حديث (سَدُوا كَلَّ خَوْخَةَ فِي الْمَسْجِدِ إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ) قال المحققون أنه كان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه كمال النسبة الحبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأشار بهذا الحديث الى أن جميع الطرق مسدودة لا توصل إلا طريق الحب . والمراد من الرابطة محبة الشيخ المستحق للمشيخة وطريق السادة النقشبندية المتصل بأبي بكر رضي الله عنه مبني على هذه المحبة فما هو إلا حفظ هذه النسبة . (وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) في قول علي رضي الله عنه "لو كُشِفَ الْغِطَاءُ مَا زِدْتِ يَقِيناً لَوْلَا إِمْتِنَانُ الثَّانِي لِإِمْتِنَانِ الْأَوَّلِ" . فيكون اليقين دائم الإزدياد لأن كشف الغطاء لا يمكن ، إذ ثبت عند المحققين أن الذات لا تنكشف إلا في تجلّي الصفات أي لا تظهر إلا في مظهر . فلما لم تنكشف الذات كما هي ، فلا جرم أنه يكون اليقين في إزدياد . (وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) في معنى قول أحد الأكابر "لو أقبل صديق على الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة فما فاتته أكثر مما ناله" . إن هذه الطائفة تصل الى مقام تتضاعف فيه كمالاتها السابقة كل نفس . ومنه ما حُكي أن بعض المحبوبين ذكر عند الخليفة أنه ظهرت طائفة من الزنادقة قد ظلوا فإن تأمر بقتلهم تنكأ أجراً عظيماً وتخلص الناس من طغيانهم . فلما أحضروا الى دار الخلافة أمر بقتلهم فأخذ السياف بيد أحدهم ليقتله . فقام واحد منهم وقال له أقتلني أنا أولاً . فلما أخذ بيد الثاني قام آخر منهم وقال بل أقتلني أنا أولاً . فلما رأى مبادرتهم الى القتل عجب منهم وقال : من أي طائفة أنتم فإنكم لمشتاقون الى الموت . قال : نحن من أهل الإيثار وقد وصلنا الى مقام نكتسب في كل نفس ضعف الكمالات السابقة . فكل منا يؤثر الآخر ولو بلحظة من الحياة ليغفم تلك الكمالات . فرغم أمرهم الى الخليفة فلما تحققت أحوالهم تنبّه وقال : إن كان هؤلاء زنادقة فليس لله على وجه الأرض صديق . ثم اعتذر إليهم وأعادهم الى وطنهم بكرامة السلامة وسلامة الكرامة .

(قلت) هذه القصة وقعت لأبي الحسين النوري وجماعته كما تقدم في ترجمة السري السقطي في بحث الإيثار .

(وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) في معنى قولهم "أهل الأحوال يتبرأون من الأحوال" ليس الإستغراق والإستهلاك من أسباب الترقى إذ تقرر أن الترقى يكون بالعمل وقد تعطلت المستغرق عن العمل ، وإنما الإستغراق والإستهلاك من الأمور الأخروية ظهر معجلاً . فمن لم يحصل له في الدنيا حصل له في الآخرة على وجه أتم وأكمل . فلهذا يتبرأ أهل الأحوال منها . (وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) كتب الشيخ محمد پارسا رضي الله عنه إن حقيقة الذكر عبارة عن تجليه سبحانه وتعالى لذاته بذاته في عين العبد من حيث اسمه المتكلم . ولا يكون هذا إلا بذكر دائم في زمن طويل الى أن يحصل له دوام الحضور . فإن زال بعد ذلك عنه هذا الحال فهو ممن أنعم الله عليه . (وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) الصلاة التي هي أفضل الأعمال تختلف باختلاف البقام . فإنها في أماكن الفسق والفجور غيرها في مواضع العبادة والحضور ، ومنه يظهر كون الصلاة في البيت الحرام بسبعين ألف صلاة في غيره .

(وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) التصوّف أن تحمل أثقال الكلال وتضع أثقالك على أحد لا ظاهراً ولا باطناً . (وقال

قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ) للشهود معنيان أحدهما شهود الذات منزهاً عن الظهور في لباس المظاهر . وثانيهما شهوده في المظاهر والمجالي بوصف الوحدة . وتسمية طائفة الصوفية شهود الوحدة في الكثرة ، وهذا مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد البعثة . (وقال قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ) عجبت لمن يقول لانتظر لمن قال وأنظر لمن قال فإن القائل والمتكلم هو الله تعالى في المظاهر والمجالي .

ومن آدابه لأصحابه

(قال قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ) إن أهل الإرادة قليلون جداً ، كتب شيخ عظيم لمثله "إن كنتم تعلمون مريداً فأرسلوه اليّ" . فأجاب "ليس لدينا مريد فإن تريد شيئاً نرسل لك ما تريد" . (وقال قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ) قال مولانا ركن الدين الخوافي وكان فاضلاً لا نظير له في عصره محباً لهذه الطائفة : "إنني لأرجو النجاة من أعماله إلا بأمر واحد وهو أنني أتيت يوماً بأحجار لأجل استنجاؤ الشيخ زين الدين بن كلال فمسحتها بخدي أولاً ثم قدمتها له" . (وقال قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ) لما أراد الشبلي رضي الله عنه الدخول في طريق الصوفية - وكان أبوه حاكماً في مدينة واسط - تاب وأتاب على يد الشيخ محمد خير النساج . فأرسله إلى الجنيد رضي الله عنهما . فقال صاحب كتاب "كشف المحجوب" ما أرسله لكونه ليس له قدرة على تربيته بك رعاية للأدب مع الجنيد إذ كان الشبلي من أقاربه . فأمره الجنيد أن يكتسب ويرد المضالم التي وصلت إليه في زمن حكومة والده إلى أهلها من كسبه سبم سنين ، ثم بتطهير الخلاء وتهيئة الأحجار والماء للإستنجاؤ سبم سنين . فبعد أربعة عشر سنة لقنه الذكر وأدخله الرياضة .

(وقال قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ) قال بعض الأكابر إن بعد العصر ساعة هي أفضل الساعات فينبغي الإستغفال فيها بأفضل الأعمال . فقال قوم أفضل الأعمال المحاسبة وهي أن يحسب العبد أعماله كلها فما وجد من طاعة شكر الله تعالى عليه وما وجد من معصية استغفر الله تعالى وتاب . وقال آخرون أفضل الأعمال أن يصحب شخصاً ينتفي ببركة صحبتته عنه كل ماسوى الله تعالى ويميل إلى الله تعالى وينجذب .

(وقال قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ) في معنى قولهم صحبة الأضداد موجبة للتفرقة . إن أبا يزيد رضي الله عنه وجد يوماً تفرقة فقال لأصحابه : أنظروا هل في مجلسي أجنبي ؟ فنظروا فما وجدوا أحداً . فقال : دققوا النظر فإنه إذا لم يكن أجنبي فكيف حصلت لي التفرقة . فلما بالغوا بالتفتيش وجدوا عصا رجل أجنبي فرموها . فعادت له جمعيتها . (وجاءه قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ) رجل من أصحابه يوماً فقال له الشيخ : إنني أجد رائحة أجنبي ، ثم قال للرجل : لقد تحققت الآن إنما منك فلعلك لابس ثوب أجنبي . فقال له : نعم . فخرج ونزع ذلك الثوب ثم رجم وجلس عنده .

(وقال قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ) التوحيد عند صوفية هذا الزمان أن يذهبوا إلى الأسواق وينظروا إلى المرد ثم يقولوا نشاهد الجمال المطلق . فأعوذ بالله من هذا الشهود فإنه لما قدم السيد قاسم التبريزي إلى هذه البلدة - يعني سمرقند - كان أصحابه يذهبون إلى السوق وينظرون المرد ويقولون مثل ذلك . فكان السيد يقول عنهم أين خنازيرنا أين كلابنا . ففهمت من فحوى كلامه أنه كان يراهم كذلك .

(ونقل قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ) عن حضرة سيدنا شاه نقشبند رضي الله عنه قال : رأيت في مكة المكرمة زادها شرفاً وكرامة رجلين أحدهما رفيع الهمة وثانيهما دنياً جداً . أما دنيا الهمة فوجد رأيت في المطاف قرب الباب ملتزماً جدار الكعبة بصدرة وباسطاً يديه يطلب من الله تعالى غيره . وأما علي الهمة فشاب لقيته في سوق منى قد اشتري وباع بخمسين ألف دينار وماغفل عن الله طرفه عين ولقد خرج الدم مني غيرة منه .

(وجلس) رجا في مجلسه قَدَسَ اللهُ سرَّهُ منكساً رأسه للمراقبة . فغضب منه وقال هكذا جلس رجا في مجلس مولانا نظام الدين -أي الخاموش- قَدَسَ اللهُ سرَّهُ فقال له : "ارفع رأسك فإني أرى الدخان يخرج من فيك فمالك والمراقبة إنما ينبغي لك أن تحمل الماء والأحجار للإستنجاء وتكنس الخلاء سنين عديدة حتى يصير لك استعداد لأن أتكلّم بك . فأين أنت من المراقبة" .

(ونقل قَدَسَ اللهُ سرَّهُ) عن السيد قاسم التبريزي رضي الله عنه أنه قال : "كنت يوماً في مجلس مولانا زين الدين التاييادي ، فجاءه رجا صومياً . فقال له الشيخ : أنت تحبّ شيخك أم الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه . قال : بل أحبّ شيخي أكثر . فغضب مولانا منه غضباً شديداً حتى قال له : يا كلب . وقام فدخلك بيته ثم خرج وقد ذهب عنه الرجل . فقال لي يافلان تعال نذهب الى هذا الرجل الصوفي ونعتذر منه . فذهبت معه فوجدناه أثناء الطريق راجعاً الى زيارة الشيخ ثانياً ، فقال له : يامولانا إنما رجعت لأفيدكم حالي . إن لي مدة مديدة وأنا أعمل بأقوال الإمام الأعظم فما زالت عني صفة من الصفات المذمومة . وصحبت هذا الرجل أياماً قليلة فزال عني جميع الخصال المذمومة . فما المانع من أن أحبه أكثر من الإمام . نعم إن كان لايجوز شرعاً أتركه وأتوب منه . فاعتذر اليه مولانا غاية الإعتذار واستحسن رأيه .

(وحَدَّثَ بعض أصحابه) يوماً نفسه في مجلسه بأن الشيخ قَدَسَ اللهُ سرَّهُ يتوجه إلي الآن ويتصرّف بي ، فقال له في الحال : كمال التصرّف لا يكون مالم تفتن فيّ أو أفتن فيك ، كما قال الشيخ عبدالله الأنصاري رضي الله عنه : "كنت رجلاً فخرجت في طلب عين الحياة فوصلت الى أبي الحسن الخرقاني رضي الله عنه . فوجدتها عنده فشربت منها كثيراً حتى ما بقيت لا أنا ولا الخرقاني" .

(وقال) قال الشيخ أبو سعيد قَدَسَ اللهُ سرَّهُما تكلم سبعمائة من المشايخ على ماهية التصوّف وأحسنها وأتمها "التصوّف صرف الوقت فيما هو أولى به" . (وقال) قال الشيخ نظام الدين قَدَسَ اللهُ سرَّهُما : ينبغي للشيخ أن يلبس اللباس الفاخر ويظهر للمريدين بصورة جميلة مع العظمة والوقار لنلا يكون محتقراً في أعينهم فتضعف رابطته . فإنه لا سبب لحصول مقصود السالك إلا الرابطة مع الشيخ ، ولذلك أمر صلى الله عليه وسلم بتسريح اللحية وغيره .

(وقال قَدَسَ اللهُ سرَّهُ) سألت أكابر علماء سمرقند أن الإنسان إذا رأى في منامه أن إله قد مات فما تعبيره ؟ فقالوا من رأى أنه مات النبي صلى الله عليه وسلم فيعبر بتقصيره في متابعتة ، إذ موت النبي موت شريعته وهذا مثله . قال قلت ربما يعبر بأن من كان له حضور مع الله تعالى يزول حضوره وشهوده ، إنتهى .

وقال صاحب "الرشحات" قَدَسَ اللهُ سرَّهُ سمعت مولانا الشيخ نورالدين عبدالرحمن الجامي نور الله مرقدته يقول : "يحتمل أن يؤخذ تعبيره من قوله تعالى -أفمن اتخذ إلهه هواه- بأن الرائي كان متبعاً هواه فمات إلهه أي هواه فتدلُّ رؤياه حينئذ على زيادة الحضور" .

(وقال قَدَسَ اللهُ سرَّهُ) لا أقدر أن أسكن بلدة فيها شريف إذ لا أقدر على أداء حق تعظييمه . فقد روي عن الإمام الأعظم رضي الله عنه أنه قام يوماً في خلال درسه وقعد غير مرة وما علم الحاضرون ما سبب ذلك حتى سألهم بعضهم . فقال غلام من الشرفاء يلعب بين هؤلاء الأطفال . فكنت كلما وقم بصري عليه أقوم إجلالاً له وإذا غاب عني أجلس .

(وقال قَدَسَ اللهُ سرَّهُ) المكرُّ مكرات : مكرُّ بالعوام وهو أن ينعم الله على العبد مع إستغراقه في

القصور . ومكرٌ بالخواص وهو إبقاء الوجد والأحوال عليه مع تركه للأدب . (وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) لو أن صوفياً صاحب وجد وحال مشى في طريقه فوجد فيه كلباً فأقامه حتى يمشي مستريحاً ولم يتغير حاله بعد هذا الفعل ، فليعلم أن هذا مكر من الله تعالى . (وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) متى وجدت من صحبة أحد جمعية خاطر والتوجه الى الله تعالى فدم الذكر إذ المقصود منه حصول النسبة وقد حصلت .

(وقال) مادمت تشير بالهاء وهو والدروف فأنت عبد الحروف لاتنتج شيئاً فاجهد في أن ترفع الغبار وحجب الأغيار من طريقك وتصير عبداً تذكره بلا هاء ولا واو . (وقال) إن حصل لك حضور بصحبة أحد فطريق حفظه أن تحتجب مايكرهه . (وقال) ينبغي لمن أراد المجيء عند هذه الطائفة أن يجيء بالإفلاس التام ظاهراً وباطناً لا الغنى لئلا يحرم من بركاتهم . (وقال) حاصل هذه الطريقة العلية الإقبال على الله تعالى دائماً إقبالا لا تكلف فيه .

(وقال) قيمة المرء بقدر إدراكه حقائق القوم . وكان يتكلم يوماً بالحقائق والمعارف والدقائق وكان أحد أصحابه متوجهاً بكليته الى إستماع كلامه . فقال له أنت تحب الكلام فقط ولا يفتح باب المرام بإستماع الكلام بل اعمل بما تسمع ينفعك .

(وقال) إذا زال لون النقوش الكونية من مرآة المدركة فما ثم إلا الذات . (وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) دفع الخواطر الرديئة والمقتضيات الطبيعية لا يحصل إلا بأحد أمور ثلاثة . أولها : أن يشتغل بما قرره السادات في الطريقة العلية مع اختيار رياضة طريقتهم ومجاهدتهم . ثانيها : أن لا يرى لنفسه حولاً ولا قوة بحيث يتحقق أنه لا يقدر أن يزيد حجاباً مالم يزل عنه تعالى . فيتضرع اليه سبحانه وتعالى حتى يخلصه من الحجب . ثالثها : أن يكون متوجهاً الى شيخه يستمد منه ويعتقد أنه لا يقدر أن يتوجه الى الله تعالى إلا بواسطته . وهذا أقرب الطرق وأسهلها وأحسنها . ولا بد أن يصل من هذا الطريق الى المقصود الأصلي الحقيقي .

(وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) تقليد الطعام والمنام في البداية يحرق الدماغ ويحرم من إدراك المعارف الإلهية والحقائق . ولهذا يقيم الغلط في كشف بعض أهل الرياضة . وأما صاحب السرور والإنبساط فلا يتضرر بالسهر ولا يجف منه دماغه . فقد ذكر الشيخ علاء الدين الفجدواني نور الله مرقدته أن سيدنا شاه نقشبند رضي الله عنه جاء الى الطوائسي يوماً ومعه نفر من أصحابه . فلما غربت الشمس أمر الشيخ محمد الخياط والشيخ محمد الطوائسي - وكانا من المخلصين - أن يأخذاً مَتَّ معه اليهما ويخدماهم . وجلس بعد صلاة المغرب على مكان مرتفع ثم طلب الطوائسي فسأله عما هياه للأصحاب ، فقال : مرادي أن أقدم لهم دجاجاً وأرزاً . فقال : أحضر الدجاج لأنظر اليه فهو سميت أو لا . فلما حضر جعل يمسه بيده المباركة ويقول (مليح . مليح) وقال لمن معه : إذهبوا الى بيت أخيكم وكلوا وناموا واحضروا لي في وقت الفجر . (وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) البعد الصوري لأهل الرابطة لا يمنم القرب المعنوي .

بوارقه وحوارقه

(روى) الشيخ ناصر الدين الأتراري - وكان من أجل أصحابه - عنه قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ أنه قال : "رأيت في المنام قائلاً يقول لي سيكون للشريعة المحمدية بامدادك ترويح عظيم وقوة كاملة" . فلما استيقظت وقع في قلبي أن هذا لا يكون إلا بإعانة الملوك . قال فلماذا تحول قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ الى سمرقند مقر السلاطين وذلك في عهد السلطان عبدالله بن مرزا شاه رخ - وكنت في خدمته . فلما

وصل اليها جاء رجل من أمراء السلطان لزيارته فقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ له : إنني أتيت لملاقاة السلطان ، فلعلك تكون وسيلة لهذا الأمر فتناك تمام الثواب والأجر . قال : إن سلطاننا رجل شاب مستغن عن الكل وملاقاته لاتخلو من عسر ولاينبغي للمشايخ مثل هذا الأمر . فقال له وقد ظهر عليه الغضب : أنا ماجنت إلا بأمر الله وإن لم يأت سلطانك يأت غيره إن شاء الله تعالى . ثم لما إنصرف الأمير من عنده كتب قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ اسم السلطان على الجدار بالمداد ومسحه بريقه الأطهر ثم قال لأصحابه : هلمّ نرجع الى تاشكند الى أن يأتي سلطان آخر . فرجعوا ذلك اليوم فبعد أسبوع مات ذلك الأمير ولم يمض شهر إلا وجاء السلطان أبو سعيد من أقصى بلاد التركستان وقتل السلطان عبدالله مرزا وجلس على سريه .

(وقال) أحد أجلاء أصحابه : كنا في الفرقة ذات يوم جالسين في حضوره قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ فدعا بدواة وقرطاس وكتب أسماء كثيرة ، ثم كتب اسم أبي سعيد في كاغذ مخصوص ووضع في عمامته ، فقبل له : من هذا الذي وضعت اسمه في عمامتك ؟ فقال : هذا رجل أنا وأنتم وأهل تاشكند وسمرقند وخراسان سنصير من رعيته . فبعد برهة بلغنا خبر توجه السلطان أبي سعيد من تركستان الى سمرقند ولم يكن أحد سمع من قبل ذلك باسمه . قال وكان أبو سعيد قد رأى في المنام الإمام الكبير سيدنا الشيخ أحمد اليسوي -وهو من أعظم خلفاء الغوث يوسف الممداني- يشير الى الشيخ عبيدالله قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ أن يقرأ الفاتحة على نية إمداده ونصره . فسأله عن اسم الشيخ فأخبره به . فاستيقظ وقد وعى صورته واسمه . فاستحضر رجلاً من أهل تاشكند فقال : أ يوجد في بلادكم رجل اسمه عبيدالله عزيز الوجود . فقال له : نعم . فقصده الى تاشكند فلم يجده فتوجه الى الفرقة فلما دنا منها خرج الشيخ قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ لملاقاته فلما راه عرفه وترجّل في الحال وقال : والله إن هذا هو الذي رأيته في المنام . ثم أقبل وقبّل يد الشيخ ورجله . فرحّب به قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ والتفت اليه إلتفاتاً تاماً فأنجذب قلب السلطان اليه ثم سألته قراءة الفاتحة ، فقال له : الفاتحة تُقرأ مرة واحدة . فاستأذنه بالتوجه الى سمرقند . فقال له : إن كنت تريد نصرة الشريعة المطهرة والعدل بيت الرعية فبسم الله والفتح معك . قال : إن أريد إلا ذلك . قال : فاذهب فأنت في عصمة الله وقد حصل المراد ثم إذا لقيت العدو فصابره حتى تأتي قطعة من الطير الغرابيب من ورائكم فعند ذلك هاجمه تظفر به .

فلما التقى الجمعان كانت الغلبة أولاً لجيش عبدالله مرزا لكثرتهم وقلة أولئك . فالتفت أبو سعيد ورأه فرأى الغرابيب مقبلة . فزحف على العدو فهزّمه وسقط فرس عبدالله مرزا في الطين فأدركوه فقتلوه . فاستولى السلطان أبو سعيد على ملكه ثم استدعى الشيخ قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ الى سمرقند . فجاء اليها وأقام بها هو وأصحابه قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ .

(وبلغ) السلطان أبا سعيد أن مرزا بابر حفيد شاه رخ قصد من خراسان بمائة ألف فارس ليأخذوا ثار عمه ويستخلص ملكه . فذكر ذلك للشيخ رضي الله عنه وشكا من قلة عدده وعدده . فقال له لاتخف . فلما قرب مرزا بابر من سمرقند استشار أبو سعيد أمراءه فأشاروا اليه بالرجوع الى تركستان . فتهيأ للرحيل فلما بلغ الشيخ قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ ذلك أتى اليه وثنى عزمه عن ذلك وقال : أنا إن شاء الله تعالى أكفيك عدوك . فلما نازل مرزا بابر سمرقند وقم البواء في عسكره فطلب من الشيخ رضي الله عنه أن يأتي الى معسكره لعقد المصالحة . فهمّ بذلك فأبى عليه السلطان أبو سعيد وقال : أخاف أن يستميل قلبك بالخدعة

والحيل فتبقى عنده ، وأنا أموري كلها دنيوية وأخروية منوطة بأمركم مفوضة لنظركم . ثم سمع قَدَسَ اللّهُ سرَّهُ أن مرزا بابر يقول نحن لم نقصد سمرقند إلا لسببي نسائهم وأبنائهم . فأعرض حينئذ عن التوسط بينهما ، وقال : إن في سمرقند رجالاً صالحين وعباداً عباداً زاهدين فقد توجهت لدفعه عنها رحمة بهم . فلم يلبث أن انصرف خائباً خاسراً .

(وروي) أن ميرزا بابر كان من المتصوفة فكان يضطجع وقت الحصار على جدار الحصن ويقول : العارف لا همّة له العارف لا همّة له ويكررها . ثم يقول : إن لم أخذ سمرقند فليس الشيخ عبيدالله من العارفين لأنه يكون قد ردني بهمته والعارف لا همّة له . فرفع ذلك إليه قَدَسَ اللّهُ سرَّهُ ، فقال : كأنه ما فهم معنى هذه العبارة فإن مرادهم بها أن العارف من فنيت ذاته وصفاته في ذاته تعالى وصفاته فلم يبق له لا اسم ولا رسم فما يصدر منه لا ينسب إليه . قال تعالى (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) وإلا فإن الأنبياء كنوم وهود عليهم الصلاة والسلام صدر منهم بتسليط القوة القاهرة على قومهم ما هو أعظم من ذلك .

(ولما) أفضت سلطنة سمرقند الى مرزا أحمد أحد أولاد أبي سعيد من بعده شاع أن أخاه ميرزا محمود عازم على منازلته في سمرقند . فكتب إليه الشيخ رضي الله عنه :

"أما بعد فإني أستوهبك سمرقند التي سماها الأكابر البلدة المحفوظة فلا تقصدها بأذى إذ لا يليق بكم ولا يوافق رضا الحق تعالى ولا يطابق شريعة نبيه صلى الله عليه وسلم . وما كتبت اليكم إلا لمحبتتي لكم وابتغاء نفعكم فأنا خادمكم المؤدي حق الخدمة . والعجب أنكم قبلتم كلام أهل الأهواء ولم تقبلوا كلامي . مع أن في مدينة سمرقند كثيراً من الفقراء الصالحاء والعباد الزهاد . فالحذر من أن تتعرض لهم فيدعون والعياذ بالله عليك فيستجاب لهم . والفقير لارب له بذلك إلا نصحك والسلام" .

فما قبل وأقبل بجيش جرار فنزل على المدينة فأتى السلطان ميرزا أحمد الى الشيخ قَدَسَ اللّهُ سرَّهُ فاستأذنه بالخروج من سمرقند . فلم يأذن له وبشره بالنصر وتكفل له بالظفر . فإطمأن قلبه فأدخله وجلس رضي الله عنه عند بابها وأحضر له ناقه سريعة السير مع زاد أيام وقال له متى دخل ميرزا محمود من باب السور إركب أنت والجيش وأخرج من باب آخر . فسكن ما به وهدا روعه ثم إنه رضي الله عنه دعا بثلاثة من أعظم أصحابه وقال لهم : إصعدوا سطح باب السور تلقاء العدو ولا تنزلوا حتى ينصرف والآ فلا مقام لكم عندي ولا تقربون . ففعلوا ، فلما تصاف الجيشان إقتتلا من الصباح الى وقت الضحى ، فكاد أن ينقلب جيش سمرقند . فأرسل الله تعالى ريحاً عاصفة أثارت قتالاً إكثهر منه الجو ، فلم يستطع الراكب أن يثبت على دابته ولا الماشي أن يخطو خطوة . وكان السلطان محمود في غار مع أمراء أجناده فسمعوا من داخل الغار صيحة هائلة مات من هولها أربعمائة شخص وأزالت شعور الباقين . ففر ميرزا محمود فراراً فظليماً . فاتبعهم أهل سمرقند نحو خمسة أميال وأوسعهم سبياً وسلباً وطعنوا وضربوا ثم رجعوا . فنزل حينئذ أصحاب الشيخ عن ظهر السور وأخبروه بذلك . فقال لميرزا أحمد أخرج الآن لمسندك وإطمئن على سرير سلطنتك ، فخرج شاكراً بره قَدَسَ اللّهُ سرَّهُ .

(قال) صاحب "الرشحات" إن الله تعالى أعطى الشيخ قَدَسَ اللّهُ سرَّهُ من تسخير الملوك له وإطاعته ما لم يعط أحداً من قبل ، حتى إنه قال ذات مرة :

لو أنني تصدّرت للمشيخة ما بقيت لأحد من مشايخ العصر مريداً ولكن الله أمرني بامر آخر ، وهو إنقاذ

المسلمين من شرّ الظلمة وأيدي المخالفين ، ولهذا خالطت السلاطين إبتغاءً تسخيرهم لنفم المسلمين . (وقال قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ) أيضاً أعطاني الحق تعالى في التصوف قوة عظيمة بحيث لو أرسلت ورقة الى ملك الخطا وهو يدعي الألوهية لجاى حافياً بلا توقف . ومع هذا لا تصرف في ملكه تعالى بقدر ذرة ، بل أقف عند حد أمره عز وجل . فإن من آداب هذا المقام أن تكون إرادتك تابعة لإرادته جلّ وعلا لا العكس أه .

قال ويشهد ذلك ما وقع منه عند مصالحته للملوك الثلاثة . وذلك أنه ورد الى سمرقند خبر بأن السلطان محمود والسلطان عمر شيخ تحالفا على منازلة أخيهما السلطان أحمد في سمرقند وخرجا بعسكر كثيف جداً حتى نزلا في ضاحية رضا شاه رحية (محل منسوب لشاه رخ) . وخرج السلطان أحمد فعسكر بها أيضاً وسأل الشيخ قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ الصحبة . فأجاب رجاءً أن يصلح الله بين هاتين الفئتين العظيمتين . فأقاموا أربعين ليلة يرقب كل منهم الآخر . فقال للسلطان أحمد : لم أتيتم بي الى هذا المكان ؟ إن كان مرادكم الحرب فإني لست من أهله والصلح فلم هذا التأخير ؟ فقال : سيدنا ومولانا الرأي رأيكم فقد فوّضت أمري اليكم فافعلوا ماتشاؤون فإني لا أخالف لكم أمراً .

قال فتوجه قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ الى معسكر الفئة الثانية فخرج الملكان لإستقباله وبالغا في تكريمه وإجلاله . فالتفت اليهما بكليته وألجأهما الى الصلح فامتثلا أمره غير متوقفين . فلما كان من الغد أمر أن يتميأ جيش الملوك الثلاثة ويبقى كل جيش في محله وينصب خباءً وسط الجيوش وإستدعى الملوك الثلاثة اليه . فحضروا . فلما تلاقوا عانق ميرزا أحمد مع أخيه ميرزا محمود ، وأخذ بيد ميرزا أحمد فمسم بها وجه أخيه ميرزا عمر شيخ . فبكوا بكاءً كثيراً حتى أبكوا الجم الغفير ثم أجلسهم تحت الخباء . وكان لمجلسهم هيبة عظيمة ترتعد منها فرائص الجبال والعساكر من حولهم وقوفاً صفاً مترقبين لو حصل ما يوجب الحرب لإنقضوا على بعضهم كالسيل الجارف . قال فوضعوا المائدة وأكلوا جميعاً ، ثم طلب الشيخ قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ ارتجالاً من ميرزا أحمد أن يتنزل لأخيه ميرزا محمود عن مدينة تاشكند . فأجابه بالحال لذلك . فختم المجلس بالتبرك بفاتحة الكتاب ثم إنصرف كل منهم بجيوشه الى حاضرة سلطنته شاكربت أبايده وبره قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ .

(وعن الشيخ مصطفى الرومي رحمه الله) وكان من خدمة تجارته أنه قال : مررت مرّة عند منصرفي الى سمرقند على مدينة (سير) من أعمال سمرقند ، فلقيت أميرها (ميرك حسن) . فقال لي : أنت رجل صالح ومرادي أت أرسل الى الشيخ قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ رسالة ، فهل تقدر أن تؤديها . فقلت : نعم . فقال : قلّ له إنه مابقي في ملك ميرزا أحمد إلا بلاد قليلة فهلاً أخذتها وخلصتنا منها . فلماً بلغته ذلك تمعّر وجهه الشريف وغضب غضباً شديداً ، ثم قال : يأمرني الكلب أن أكون سلاًخاً . فدخل بيته فجعل أصحابه يلومونني على ذلك . ثم بعد خمسة عشر يوماً وقع من ميرك حسن أمر أغضب السلطان فأمر به فسُكح حياً .

(وتوجه قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ يوماً الى بلدة (القرشي) فاتاه أحد خدام إبله وهو قره أحمد العربي وهو يبكي ويقول : إن السيد أحمد سارد أذاني كثيراً وظلمني . فتأثر رضي الله عنه من ذلك تأثراً كلياً ولم يتكلم . فلما رجع الى سمرقند إستقبله الأمراء وفيهم السيد أحمد المذكور . فلما اجتمعوا عنده توجه اليه وقال له : أنت تضرب خادمي وتؤذيه فاعلم أنني أنا كذلك أعرف طريق الضرب والأذى . وطرده من مجلسه ولم يزل مغضباً الى وقت العصر لا يكلم أحداً . فبعد أسبوع مرض السيد أحمد فلما إشتد مرضه أرسل الى السلطان

بأنني وقع مني سوء أدب في جانب سيدنا ومولانا فباعثذروا لي منه واسألوه أن يعفو عني . فأرسل بعض أمرائه المقبولين عند الشيخ قَدَسَ اللّهُ سرَّهُ إليه في ذلك . فقال له يطلب مني السلطان إحياء الموتى وأنا لست عيسى فمات ذلك اليوم .

(وله رضي الله عنه) خوارق غريبة وكرامات عجيبة أقلها ما إطلعت عليه من انقياد سلاطين ماوراء النهر ووقوفهم إما في رحابه وإما بين يديه . وأما كشفه عن المغيبات وإخباره عن الخفيات مما أفرده العلماء بالتأليف كصاحب "الرشحات" فهو أجلك من أن يُحصَر ويُحصَى فالعمر يستقصر دونه ولا يُستقصى . (توفي رضي الله عنه) وقت العشاء ليلة السبت سلخ شهر ربيع الأول سنة ثمانمائة وخمسة وتسعين في قرية (كمان گران) بعد أن حَمَّ تسعة وثمانين يوماً . قال بعض الأكابر وحكمة مرضه هذا المقدار أن سنَّه الشريف تسعة وثمانون سنة وفي الحديث الشريف "حمى كل يوم كفارة سنة" . وذكر نجله الشيخ محمد يحيى وجمُّ غفير من أصحابه الحاضرين أنه خرج عند نَفْسِهِ الأخير من بين حاجبيه نور باهر طمس ضوء الشموع . وقد زُلزلت سمرقند وقت صلاة الجمعة عند اشتداد مرضه . فعلم الناس أن الشيخ قد أن احتضاره ووقت العشاء عند خروج روحه الزكية أيضاً وكان قد حضر السلطان أحمد بعساكره وقت الغروب . ثم يوم السبت حملنا نعشه المبارك الى محلة الشيخ (كفشير) بكاف فناء فشين فياء فراء .

(ودُفِنَ) في محوطة ملايان (ج : ملا) أي مدفن العلماء وبنى عليه أنجاله قبة عظيمة هي محط رحال الرحمات العميمة ، وسنَّه الشريف نحو تسع وثمانين سنة وله شبلا من أنجب الأشبال قد بلغا في حياته مبلغ أكابر الرجال :

الأول ؛ الشيخ عبدالله وكان يدعى بخواجكان ، خواجه أي شيخ المشايخ وبالشيخ كلان . (وكان الشيخ قَدَسَ اللّهُ سرَّهُ) يعظّمه ويقربه لفضله وعلمه وعلو أذواقه وشهوته ووفور عرفانه . ولقد أراد يوماً زيارة أبيه وكان بيته في قرية أخرى . فلما إتصل بالشيخ خبر مجيئه وضع عمامته على رأسه ولبس خفته وجبته ثم استقبله وأتى الى حجرته وقدمه على أصحابه وجميع من في حضرته من العلماء ، وسكت لحظة ثم قال له تكلم بما يستفيد منه الناس . فأظهر التواضع له واعتذر منه فأخذ تفسير القاضي البيضاوي رحمه الله وقرأ له آية فابتنر الشيخ كلان يتكلم عليهما من المعاني الظاهرية والإشارات الغيبية والحقائق الباطنية بما بهر به عقول أهل المجلس . ولم يستطع أحد أن يوجه أدنى اعتراض عليه . ثم حضر الطعام فأكلوا ثم استأذنه بالذهاب فخرج رضي الله عنه مشيعاً له الى الباب . ولم يزل ملجأ كل مريد ومعاذ الخائف من كل شيطان مريد حتى توفي والده المكرّم وحصل له في مدة استيلاء الأوزبك على سمرقند ما أوجب خروجه الى (اندجان) . فتبوأها حتى إنتقل الى الجنان وقد نيّف على الستين ودُفِنَ ثم قَدَسَ سرُّه .

وقد أعقب سبعة أنجال أنجاب كلهم علماء هادون أولياء مرشدون : أولهم ؛ الشيخ نظام الدين عبدالهادي قَدَسَ سرُّه . كان تحفة الزمان وبركة الأقران . قدم الى القسطنطينية في عهد السلطان بايزيد خان ونال منه تمام الحظوة . ولما توفي أعقب نجلاً عالماً صالحاً ومرشداً فالجاً وهو الشيخ قاسم ولد زمان مولانا أحرار وحظي ببركة وجوده . وقدم القسطنطينية والشام قَدَسَ سرُّه . ثانيهم ؛ الشيخ خاوند محمود قَدَسَ سرُّه . لقنّه جده الذّكر وهو ابن إحدى عشرة سنة وبشّره بأنه سيكون في مقامه وكان كما أشار رضي الله عنه . رابعهم ؛ الشيخ عبدالعليم قَدَسَ سرُّه . خامسهم ؛ الشيخ عبدالشهيد قَدَسَ سرُّه . سادسهم ؛ الشيخ أبو

الفيض قدّس سرّه . سابعهم ؛ الشيخ محمد يوسف قدّس سرّه .

الثاني : الشيخ محمد يحيى . وكان الشيخ قدّس الله سرّه يحبه محبةً مفرطة حتى أقامه مقامه آخر حياته مع أنه أصغر أُنجاله . وكان لا يخاطب في حضوره أحداً غيره وكثيراً ما كان يتكلم معه في الحقائق والمعارف الإلهية . وكان إذا خلا به يذكر قصة شهادة سيدنا الحسين عليه السلام ويقول له : "إنك على قدمه وسينالك نصيب وافر من استعداده" . فبعد إنتقاله رضي الله عنه إستولى السلطان بخت خان مستهلم محرّم سنة ست وتسعمائة على تخت سمرقند وانتزع جميع ما كان للشيخ قدّس الله سرّه وأمر بخروج الشيخ محمد يحيى الى خراسان . وكان قد سعى به عنده رجل من العلماء خدم أباه ثمانية وعشرين سنة ، فلم يلتفت اليه ولا لقنه الذّكر . وكان من عادته قدّس الله سرّه أنه إذا اطلع على باطن أحد أنه يتولى الرياسة لا يعلمه الطريق كما قال لأصحابه حينما شفّعوا عنده في قاضي اندجان ، وكان قد خدمه كذلك : "أني أنظر الى باطن الناس فمن كان فيه طلب الرياسة والجاه ولو بعد عشرين سنة لا يعجبني أن ألقنه الذّكر" . فأرّخ أصحابه ذلك . فبعد عشر سنين وقم كما أخبر رضي الله عنه .

قال في "الرشحات" حتى إن ذلك العالم قال لي يوماً : نفسي تحدّثني أن أخذ سكيناً فأجعلها في أحشائي أو أحشاء الشيخ لأنني اتخذت كل الوسائل لإستجلاب رضاه فما أمكن . وبقي يخدمه الى أن إنتقل . فلما جاء التاتار مال اليهم ونال جاهاً عظيماً ورياسة كاملة . فيوم خروج الشيخ يحيى قدّس سرّه قال أحد الأمراء الأخبثات للسلطان إن له أتباعاً كثيرة في خراسان فإن وصل اليها ربما تجددت الفتنة والفتنة أشد من القتل فأقتله هو وأولاده فما قبل . فألحوا عليه فقال أنتم أعرف بتدبير أمر الملك فافعلوا الأصلم ، ثم أرسل الى الشيخ خفية يخبره بذلك وبعث له دابة تمشي كل ليلة ثلاثين فرسخاً وقال له أنمُ بنفسك الى خراسان وأنا أرسل اليك ثقلك بعد . فماقبل وقال للخادم قل له : "حصل لك الأجر والثواب فجزاك الله عنا خيراً غير أنني مبشّر من والدي بالشهادة فلعل هذا وقتها" . ثم خرج بمن معه فلما أن جاوز تاشكند قال سبحان الله لقد كدنا أن نجاوز سمرقند فأبى بشارة والدي مع اني على يقين أن بشارته لا تتخلف . فبينما يسير في صحراء قرية (كراب) إذ خرج عليه ثلاثمائة فارس من الأوزبك فسقوه هو وولديه زكريا والشيخ عبدالباقى كأس الشهادة وأعادوا ما بقي من أولاده وهو الشيخ محمد أمين وأتباعه وأثقاله الى سمرقند . وحمل بعض أحبائه المخلصيت تلك الهياكل المقدّسة الى سمرقند الى محلة الشيخ كفشير ودفنهم عند الشيخ رضي الله عنه . وكان لجنائزهم هول عظيم ومشهد كبير حشر له الناس من كل جانب وبكى دماً عليهم الأقراب والأجانب . وكان مولانا الشيخ عبدالرحمن الجامي معتقداً له ويقول إن نسبة الخواجكان والجذبات النقشبندية غالبية عليه والنسبة العلمية على الشيخ كلان قدّس الله سرّه .

(وأما) أصحابه فلا يحصون عدداً ولا يدركون مدداً ، من أعظمهم ولي الشرفاء وشريف الأولياء مولانا السيد حسين قدّس سرّه . كان من أعلم أصحابه وأقدمهم أتى والده به الى حضور الشيخ وعند الشيخ ظرف من عسل فبادر اليه فتبسّم الشيخ وقال له : ما اسمك يا غلام ؟ فقال : عسل . فقال : قابليته قوية قد ذاق العسل وفنى فيه حتى نسي اسمه فإن ذاق غيره صار كذلك . ثم تقبله وأقبل عليه بتربيته وأرسل به الى المكتب . فلما ختم القرآن المجيد أمره بتحصيل العلوم . فأصبح من العلماء المتبحرين ، ذلك والشيخ يمدّه بأنواره القدسية ويهتم لترقيته الى المراقي الإلهية حتى وصل الى مرتبة الكمال ، بل الى درجة الإكمال . وله فضائل وفيرة وكشف كالشمس في الظهيرة .

(قال) صاحب "الرشحات" لما قدم مولانا أحرار الى كفتشير جعلت تزوره السلاطين والأمراء وأعيان سمرقند فلم تصل الأحابب والفقراء اليه . فخطر لي أنه لو اختار سيدنا العزلة لكان أحسن فإن الطالبين ينتفعون أكثر . وذهبتُ ساعتئذ الى السيد حسن فإذا عنده علماء سمرقند يقابلون معه كتاب "أحياء العلوم" ، فلما رأني سكت مدة ثم توجه اليّ وقال : قال بعض العلماء ذهبت لزيارة سيدنا أحرار قدّس الله سرّه وأنا أقول في نفسي لو أن الشيخ يترك الوعظ ويختار الخلوة وعدم الإختلاط مع السلاطين والأغنياء لكان أولى في مخالطتهم من التفرقة وقلة التوجه للطالبين . ثم التفت اليّ وقال : أنت عالم فاضل وفقه قد وقعت لي مسألة مشكلة أحب أن تحلها ، وهي أن رجلاً مقبول الكلمة عند المبتدعة والظلمة فهو يخلص المسلمين من ظلمهم ويزيد البدع وعوائد الجبارين من بينهم ، فهل يجوز له ترك الإختلاط بهم واختيار الخلوة والعبادة أو لا . وأي الأمرين أهم بالنسبة اليه وأولى . فقلت : ترك العزلة بك النوافل والحالة هذه فرض عليه . فتبسّم مولانا أحرار وقال : أنت تفتني بهذا ثم تعترض . فدفع السيد حسين قدّس سرّه بهذه الحكاية ذلك الخاطر عني .

(ومن أشهرهم) مولانا قاسم قدّس سرّه ، وهو من أجل أصحابه المقبولين عند جنابه ، وكانت الأصحاب الأعزة تسميه ظلّ الشيخ لملازمته له وفنائته عن نفسه وبقائه به ، حتى إنه أثر الشيخ بالحياة على نفسه حين مرض فشفي الشيخ ومات هو . وذلك يوم الإثنين لستّ خلت من ذي الحجة عام أحد وتسعين وثمانمائة كما سيأتي ذلك في ترجمة مولانا محمد الزاهد قدّس سرّه . ولما توفي حزنت عليه الشيخ وقال قدّس الله سرّه في شأنه أنه لانظير لمولانا القاسم في التجريد والفناء . وقال الإشتغال بالذكر أولى من التوجه ليحصل الفناء والتجريد الباطني الذي كان عليه مولانا قاسم . قال الإمام الغزالي : "السلوك يعني السير اليه تعالى لا يتيسر بلا إعراض وإقبال وهو معنى الكلمة الطيبة لاله إلا الله" .

(ومن أكرمهم) المير عبدالأول قدّس سرّه ؛ هو صهره الأطهر والوارث لسرّ نوره . إشتغل برابطته سبع سنين مع رعاية الآداب والشروط المقررة ولم ينك التفاتته ، بل كان كلما وقع عليه نظره أقامه من مجلسه وأظهر الغضب لرؤيته . ثم عطف عليه لما تحققت من ثباته وصدق محبته وزوجه بابنته فأولدها ثلاث بنين هم (المير كلان والمير ميان والمير خورد) وبناتان . (توفي) في أوائل شهر ذي الحجة عام خمسة وتسعمائة قبل إشتهاد سيدنا يحيى بأربعين يوماً .

(ومن أعزهم) مولانا جعفر قدّس سرّه . كان عالماً عاملاً وعارفاً كاملاً يغلب عليه الإستغراق حتى إن الشيخ كلفه للإشتغال بالزراعة ليخفف ذلك عنه فمأفاد . يقول قدّس سرّه مال قلبي إبان طلب العلم الى طريقة الصوفية فرأيت في المنام سيدنا أحرار فقلت له متى يصل العبد الى الله تعالى ؟ قال إذا فنى عن نفسه . فلما إنتبهت تشرفت بزيارته ولم أكن زرتّه قبل . فلما جلست قال : يامولانا جعفر أتعرف متى يصل العبد الى الله تعالى ، إذا فنى في عبوديته . (توفي) عام ثلاثة وتسعين وثمانمائة وصلّى عليه الشيخ وشيعه وجلس حتى دفنوه قدّس سرهم .

(ومن أكبرهم) مولانا برهان الدين الخلتاني قدّس سرّه . البحر الزاخر في علم الباطن والظاهر . صحب الشيخ أربعين سنة سافراً وحضراً ولما مرض عاده الشيخ قدّس سرّه وأخذ يتكلم عنده على قوله الله صلى الله عليه وسلم "جددوا إيمانكم بقول لاله إلا الله" . فقال : "المراد بجددوا أن يحصل للعبد كلما كررها إنجاب ومحبة لله تعالى" . قال الحكيم الترمذي يفهم من الأمر بالتجديد أن الإيمان يُخلق وخلقته عدم الوله

والإنجذاب والمحبة من العبد . فينبغي للطالب أن يزداد محبة وشوقاً إليه كلما قال هذه الكلمة . (توفي)
بعد إنتقال مولانا جعفر بأسبوع قدّس سرّه .

(ومن أعرّفهم) مولانا لطف الله الختلافي قدّس سرّه . كان في العلوم الظاهرية بحراً وفي الأسرار
الباطنية بديراً . وكان الغالب عليه البسط بحيث لا يتكلم إلا متبسّماً . وكان الشيخ يمازحه كثيراً حتى قال له
مرة : يامولانا لطف الله أي امرأة تختار إن أردت أن تتزوج ؟ فقال : الحلوة الخضرة . فقال له : قد أخطأت إذ
بعد أيام تزول حلاوتها وتبقى خضرتها ، ثم قال ، التزوج بلاء عظيم للطالبين . وقال التزوج مادة الهوى
وحرص النفس فاترك الحرص وكن مع الله تعالى .

(يقول مولانا لطف الله) رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وقت الطفولية في صورة لم أر لها في
الجمال نظيراً . فلما تشرفت بلقاء الشيخ قال إن بعض الناس يرى النبي صلى الله عليه وسلم في صور
مختلفة ثم نظر اليّ في أثناء كلامه . فرأيت على الصورة التي رأيت النبي فيها فلزمت صحبتته . وكان
يوماً في يده "شرح المنازل" للشيخ عبدالرزاق الكاشي وبعض العلماء يسأله عن مسائل منه . فقلت في
مسألة يحتمل أن يكون المعنى كذا . فلم يقبله فغضب وتكلم كلاماً وجدت كأن جبالاً وقم عليّ من ثقله .
فنظرت الى وجهه فرأيت أن نوراً سطع من جبهته وشرع يزداد حتى ملأ البيت والدار . فداخلني رعب كاد
أن يقتلني ثم جعل يخف شيئاً فشيئاً حتى عاد الى حاله الأول . وكنت معه في سفر وكان راكباً على فرس
سريع وأنا على فرس بطيء المشي فتقدمت عليه لنأ أتخلف عنه . فلما وصل اليّ ضربته بسوطه وقال :
"ليست دابتك سريعة؟" فصارت أسرع ما يكون .

(ومن أكبرهم) مولانا شيخ قدّس سرّه ؛ كان ملازماً للذكر بحبس النفس . يقول قدّس سرّه إنني أذكر
بالنفي والإثبات في نفس واحد خمسين مرة مع ملاحظة الوقوف القلبي والعددي ولايضيق نفسي
ولايظهر أثر على وجهي . وقد فوّض الشيخ إليه أمور دنياه . قال فحصل لي تفرقة من الإشتغال بالدنيا
بعدما نلت جمعية الخاطر . فذهبت مرة لحضوره أشكو اليه ذلك وأنا مغموم منه . فلما وصلت قال قدّس
سرّه : يامولانا الشيخ إن الخلوة في الجلوة في هذه الطريقة أصل عظيم مبني على طريق الخواجكان وهو
مأخوذ من قوله تعالى (رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) . ونسبتهم محبوبة والمحبوب لا يكون
إلا مستوراً إذ المحب غيور فينبغي أن تستر هذه النسبة بشغل من أشغال الدنيا . فصرت أتضرع في نفسي
اليه إنني لأقدر على ذلك . فقال : وجه الهمة حتى يعطيك الله تعالى قوة الجمع . ثم توجه قدّس سرّه اليّ
في غضون ذلك فتمكّن منّي الجمع بحيث صار النوم واليقظة والأشغال الدنيوية والاخروية عندي سواء ولله
الحمد . (توفي) أواخر سلطنة شيبك خان ودُفّن في محوطة ملايان قدّس سرّه .

(ومن أعلمهم) مولانا سلطان قدّس سرّه . كان من أجلاء العلماء وعلماء الأجلّاء . جمع علوم الظاهر الى
فهوم الباطن . يقول قدّس سرّه : ذهبت في خدمة الشيخ الى (ماتريد) فأردت وأنا ماشٍ معه أن أشتغل
بالمراقبة والتوجه فلم يتيسر لي . فاشتغلت بالنفي والإثبات فحصل لي الحضور واللذة . فلما وصلنا
وجلست معه قال لي بعد لحظة : هل اشتغلت بالنفي والإثبات ؟ قلت : نعم . قال : لما جلست ظهرت
نسبته . ففهمت أن الحضور مع الله تعالى وإن كان واحداً ولكن يختلف باختلاف السبب ولايظهر هذا الفرق
إلا لأخصّ الخواص من الأولياء وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

(ومن أفضلهم) مولانا أبي سعيد الاوبهتي قدّس سرّه . هو من أكابر العلماء العارفين . لازم خدمته

خمساً وثلاثين سنة . يقول قدّس سرّه : سبب هدايتي أنني كنت في مدرسة (ميرزا الغ بك) مشتغلاً بتحصيل العلم فحصل لي يوماً ملك من المطالعة ورأيتني مائلاً لطلب الحق وصحبة المشايخ . فرأيت أحد أحبائي من الطلبة فقلت له : من أين وماهو حالك ؟ قال كنت في جبل النور في صحبة الشيخ الياس العشقي - وبالغ في مدحه . فقصدته فمررت على مدرسة سيدنا فإذا به قد جاء راكباً ونزل على باب المدرسة . فقلت في نفسي أنا لم أره قط فأزوره أولاً ثم أذهب الى جبل النور . فدخلت على أثره الى المدرسة فجلس على دكة كبيرة مع أصحابه فجلست لتلقاءه . فسكت لحظة ثم أنشد بالفارسية بيتاً عربيه صاحب "الرشحات" بقوله :

في صحبتي كُنْ ولا تقصد الى جبل فلا معاذ تراه اليوم في جبل
فتأثرت من سماع هذا البيت ، وقلت في نفسي إن يكن أنشده من أجلي فليعد مرة أخرى . فتوجه اليّ قال : ياأبا سعيد هذا البيت من كلام الشيخ خجند . وأعاده ثم قام وركب وذهب وقد جذب قلبي اليه . فتحيّرت في نفسي وجعلت أقول إنه لايعرف اسمي فكيف ناداني وقرأ هذا البيت . فخرجت فلقيت بعض الأحباب ، فقلت له أذهب الى مدرسة مرزا الغ بك وقل لقيّمها أن جميع ما في حجرتي من كتب وغيرها هو له فليتصرّف فيها . ثم مضيت فجلست عند باب الشيخ فبقيت سنة كاملة لم يلتفت اليّ ظاهراً وباطناً . فكان يزداد الإنجذاب والترقي يوماً فيوماً . ثم بعد سنة أقبل عليّ . أه . وله كلمات في المعارف قدسية منها ماقرّس به سورة (الإخلاص) بقوله :

"إن أول موجود أوجده الله تعالى بلا واسطة شيء هو التعيين الأول . ولما كان إظهاره من المبدأ الفيّاض يشبه الولادة قال تعالى لم يلد نفيّاً لشبه الولادة ولما ظهر تعالى في المظاهر الإلهية بحسب الذات والأسماء والأفعال . وكان هذا الظهور يشبه المولودية قال تعالى " ولم يولد " نفيّاً لشبه المولودية ولما جعل الحقّ تعالى هذا النوع الإنساني مظهر جميع أسمائه . إن الله خلق آدم على صورته أو صورة الرحمن . فكان مرآة ذاته الأقدس الذي هو "الله أحد الله الصمد" صفته . وكان هذا التوهم كقرّاً نفي هذه المشابهة بقوله " ولم يكن له كفواً أحد " .

وقال قدّس سرّه :

"ذهبت وأنا صغير مع أبي الى مجلس الشيخ شمس الدين محمود الكوسوي . فسمعته يقول في قوله تعالى (أحسن كما أحسن الله اليك) أظهرك فعلمك تعالى بقوله أحسن كما أحسنت أي أفنّ في حتى تكون باطناً أو ظاهراً ثم طفق يتكلّم بكلام من الحقائق الإلهية لشدة غموضه غلب النعاس على أكثر الناس . فقال مالك لا تسمعون كلامي وتنعمسون وإني لو كلمت سقّف المسجد لتأثر من كلامي ووعظي - وأوما الى السقّف وكان من خشب فباضطرب الخشب وتحرك كما تتحرك الأرض من الزلزلة . ففرّ أكثر الناس الى ظاهر المسجد ومَن كان قرب المنبر أخذ بقوائمه ثم سكت زمناً طويلاً حتى تراجع الناس فعاد لكلامه قدّس سرّه .

(ومن أفضلهم) مولانا الشيخ حبيب البخاري التاشكندي . كان من المقربين والوارثين لما كان عليه من المعارف الغالية والأخلاق العالية . وقد فوّض اليه خدمة المائدة فنال بذلك من توجهاته أعظم فائدة قدّس سرّه .

(ومن أحبهم) مولانا نورالدين التاشكندي . كان من نظره الشريف بمكانه وله تمام الارتباط برباطته

الشريفة . فقال له بعض الأصحاب الإشتغال بهذا في الصلاة كاد أن يكون كفراً فاتركه من التحريم الى التسليم . ثم توجه اليه بعد فبلغ ذلك الشيخ فقال : كيف إذا خطر ببال المصلي فرس أو عبد أو سبب دنيوي في الصلاة لا يكفر وإذا ربط قلبه بمؤمن يكفر ؟ ووقع في سمرقند طاعون وأصيب الشيخ قدس سره به فاستنذنه أن يفتديه بنفسه . فأبى وقال " أنت شاب ولك أمان وما رأيت من الحظوظ شيئاً " . فقال ليس لي أمنية بشيء ، ولا نعم لأحد وأما وجودكم الشريف فهو مظهر النعم في الدنيا والآخرة فقد فديتكم بنفسي . فانتقل مرضه اليه وتوفي بعد ثلاثة أيام وشفى الشيخ قدس سره . ومر الشيخ بقبره وهو راكب مع أصحابه فرأى بعض أهل الكشف منهم أن مولانا نورالدين إنقلب في لحده وتوجه وجهه الشيخ فقال له مولانا نورالدين : " توجه الى القبلة " فتوجه .

(ومن أحسنهم) مولانا زاده الشيخ محمد عبدالله الأترزي قدس سره . كان من المنتسبين الى الطريقة العشقية أولاً ثم تشرف بخدمة الشيخ ونال عنده أعلى المراتب . وكان يغلب عليه الإستغراق . روي أن الشيخ كان في حجرة بعض أصحابه فظهر في مجلى جلالي بحيث كل من دخل عنده يحصل له الغيبة . فلما أحضروا الطعام كان مولانا زاده مستغرقاً فحركوه فما أفات ، فقال الشيخ : " تريدون أن تحضروا مولانا زاده أما علمتم أن كل أحد يستمد مني من الأحوال قدر إستعداده وتشرف مولانا زاده الآن بحال أذهله عن الكونين ، فلو علم أحد حاله نسي الطعام من غيرته " . (ثم) إستأذن الشيخ قدس سره بالحج فبعدما قضى فريضته قدم دمشق وأقام بها وانتقم به خلق كثير وبها توفي قدس سره .

ولمولانا زاده صاحب جليل هو ملا محمد البخدشي قدس سره . كان من كبار المرشدين والأولياء المحمديين . قام بعد وفاة أستاذه في دمشق الشام مقامه . فهدى الله به كثيراً من خلقه . ولما قدم السلطان سليم خان العثماني الى دمشق ذهب الى زيارته مرتين وأخلص له المحبة . وليلة وفاة الشيخ رأى السلطان في المنام وودعه . ولما أفات دعا له وبعث بسلامه اليه ثم توفي وذلك في سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة في دمشق قدس سره .

(ومن الطفهم) مولانا ناصرالدين الأترزي قدس سره هو الأخ الصغير لمولانا زاده الأترزي كان من خدامه وموقع نظر إكرامه . قال : كنت قبل التشرف بخدمته أتعشقت غلاماً جميلاً فلما حظيت بسعادة صحبتته في تاشكند خطر لي وقت الربيع الذهاب الى سمرقند لرؤية الغلام وحضور موسم النوروز معه . فإستأذنت الشيخ فأبى ثم خرج يوم النوروز الى الصحراء فخرجت معه وأنا على غاية من القبط والميل الى الذهاب الى سمرقند لذلك . فأخذ باقة من أزهار وأعطانيها وقال : يامولانا ناصرالدين أما تستحي من الصحبة وتذكر الغلام والخروج معه الى موسم النوروز . فحصل لي من الخجل ما لا مزيد عليه . فلما إطلع على حالي توجه اليّ فزال ما بي وتبدل حب الغلام بحبه قدس سره .

(ومن أعظمهم) مولانا هندو خواجه التركستاني قدس سره . كان في كثرة الذكر آية وأي آية ، نال بها أحوالاً عجيبة وأطواراً غريبة حتى رآه سيدنا أحرار يوماً في الصحراء يطير مع الطيور في الهواء فما أعجبه بل أغضبه ، ثم سلبه فسقط الى الأرض وإنخدش بعض أعضائه وارتضّ وعاد كالعوام بلا حال ولا مقام . فكان يبكي بين يديه ويتضرع ليلاً ونهاراً اليه حتى مرت سنة كاملة عليه . ولفرط الألم والضيق فرط منه ما لا يليق فقال له : إن لم ترد لي حالي أقتلك وأقتل نفسي ولأبالي . كل ذلك وهو معرض عنه . ولقد مرّ مرة في طريق مظلم فتبعه مولانا هندو بسكين وأهوى بها اليه . فتبدّ الشيخ بصورة راعي غنم ، فغاب هندو

خواجه عن شعوره . فأخذ الشيخ السكين وعاد الى صورته الأصلية وتبسّم وقال : ليت شعري لو ضربتك ماذا تفعل . فوضع رأسه على قدميه وطفقت يبكي ويتلملم ، فعفا عنه بشرط أن يخفي حاله ولا يظهر ما سلف منه . (وكان قدّس سرّه) جليلاً وقوراً يتلألاً وجهه من عظمة الحضور الإلهي نوراً وكان ينشد :

في كل لائحة وجه الحبيب بدا فانظره في كل وجه يأخا الهمم
كذلك وجهك مرآة له وسوى ذاك المحيا فلا يبدو لغير عمي
لو كنت ذا نظر شاهدت صورته لديك من رأسك الأعلى الى القدم

وهو من أولاد مشايخ تركستان قدّس سرّه .

(ومن أفضلهم) مولانا فخرالدين الشيخ علي ابن الشيخ حسين الصفي الواعظ . هو مؤلف "الرشحات" قدّس سرّه . كان عالماً عارفاً ومرشداً كاملاً . وله في الوعظ كلام عليه آثار الإخلاص والتأثير الكثير . أصله من (سبزوار) توطّن هراة ولما فرغ من التخلّم بالعلوم الفضائل . تشرّف بخدمة الشيخ ولازم صحبته وألف كتابه المسمّى "رشحات ماء عين الحياة" توسلاً لترجمته . وكان لفظه "رشحات" تاريخاً لتمام التأليف إذ هو بحساب الجمل تسم وتسعمائة . وكان من كبار العارفين بالله تعالى . (توفي) ظاهر هراة ونُقِل نعشه اليها وذلك سنة تسم وثلاثين وتسعمائة .

(ومن أقدمهم) مولانا حبيب النجار التاشكندی قدّس سرّه . لزم صحبة الشيخ زمناً طويلاً وحظي بسعادة قبوله .

(ومن أعلامهم) مولانا السيد علي الكردي الشهيد قدّس سرّه . كان من العلماء الأتقياء أصله من (العماديه) وقدم لخدمة الشيخ ولازمه سنين عديدة . وكان يعلم أحد أنجاله العلوم . ولما توفي الشيخ رحل الى قزوین وأقام عدة سنين ينعم الطالبين ويرشد السالكين . ولما بلغ خبره الأوزبك الأوباش سقوه كأس الشهادة وذلك سنة خمس وعشرين وتسعمائة . وللسيد أصحاب ستة ورثوا بركته :

(الأول) الشيخ أبو سعيد ابن الشيخ بايزيد الخلخاني قدّس سرّه . لقي السيد وفاز ببركة خدمته وأذن له في الإرشاد وتوفي في قزوین سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة . (الثاني) مولانا شاه القزويني قدّس سرّه تشرّف بملازمة السيد ونال إذنه بالهداية والتربية . وكان يقول في شأنه لانظير لشاه في هذا القطر . وتوفي بقزوین سنة تسم وأربعين وتسعمائة . (الثالث) مولانا الشيخ علي القاضي القزويني الحسيني قدّس سرّه . تشرّف بتربية السيد وأدرك مقامات صحبته النافعة . وكان من أكابر علماء قزوین وكبرائها توفي في قزوین قدّس سرّه . (الرابع) مولانا الشيخ عبدالله القزويني قدّس سرّه . وصل الى خدمة السيد وقام بواجب خدمته حتى تشرّف بإكمال المنازل ثم استأذنه بالحج وذهب من طريق بغداد . فأدركه الموت في بابان فدُفِنَ ثم قدّس سرّه . (الخامس) مولانا الشيخ نفيس الحكيم الفردي قدّس سرّه . كان يغلب عليه الإستغراف والفناء الأتم . توفي في قزوین وقبره مشهور بها . (السادس) مولانا القاضي مرك القزويني الخالدي نسبة الى سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه . كان عاملاً متبحراً رفيع الشان ، ولما استولى الأوزبك على قزوین قتلوا الخالديين وهو معهم قدّس سرّه .

ومن أكبر أصحاب سيدنا أحرار أربع رجال كبار أولو مقام جليک كلهم يسمى إسماعيل :

أولهم ؛ مولانا الشيخ إسماعيل الفرکتی نجل مولانا سيف الدين المناري ، أحد أجلاء أصحاب سيدنا النقشبند قدّس سرّه ومرّ خبره في أصحاب المنوّه به ، وصل الى خدمة الشيخ في تاشكند . فبالغ

بالإلتفات اليه حرمة لوالده وتعظيماً لشأن صحبته . ونال بهمته أعلى مراتب الرجال . وأخوه سليمان الفركتي من أخص أصحاب الشيخ محمد پارسا وقد تقدم . ثانيهم ؛ مولانا إسماعيل القمري قدس سره . كان عالماً متبحراً وعاملاً تقياً . قدم من هراة الى سمرقند وإغتنم خدمة الشيخ ، ولكن كانت نسبة العلم غالبية عليه . كان مع الشيخ مرة في قرية (شادمان) هو وأصحابه حضور عنده ويبد الشيخ شرح تائية ابن الفارض للشيخ سعيد الفرغاني قدس سره بخط مولانا محمد پارسا ، فقال لأصحابه "أريد أحداً يكتبه اليّ بخط النسخ فاروني خطوطكم" . فمن جملة من تقدم للكتابة الشيخ إسماعيل المشار اليه فكتب -زد رغياً تزدد تحبباً- وأراه إياه . فلما قرأ الحديث قال : يامولانا إسماعيل إنك كنت مالاً من دوام صحبتي حتى طلبت الغب ، فقم الى المدرسة واشتغل بالتدريس لتخلص من ذلك . ثم أمر مولانا لطف الله ومولانا سلطان ان يذهبا به الى مدرسة المدينة ، فلذلك حرم ملازمته . ثالثهم ؛ الشيخ إسماعيل الشمسي قدس سره . وكان هو والقمري من أترك تبريز وقدموا على الشيخ معاً فللقب بالشمس فرقاً بينه وبينه . صحب حضرة الشيخ مدة ثم أرسله كرفيقه الى المدرسة . فجلس للتدريس بها الى آخر العمر . رابعهم ؛ مولانا الشيخ إسماعيل الشيرواني قدس سره . كان عالماً تقياً ومرشداً ولياً قدم من هراة لزيارة الشيخ خاصة وقد بشر أصحابه بمقدم رجل مستعد . فكان هو ذلك وحيث كان القمري والشمسي في خدمة الشيخ وقتئذ لقب بإسماعيل الثالث . ولما حضر مجلس الشيخ كان عنده عنب فأمره أن يأكل فأخذ خصلة واحدة ورجع الى موضعه . فنظر اليه فغاب عن نفسه وعن العالم وسقط العنب من يده وبقي زمناً طويلاً كذلك . فلما أفات شد منزره للخدمة ولزمه سفرأ وحضراً . ولما توفي رحل الى مكة المكرمة وجاور ثم حتى لحق بالرفيق الأعلى وذلك سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة .

(ومن أصدقهم) مولانا الشيخ عبدالله السربلي قدس سره .

(ومن أراضهم) العارف بالله تعالى مولانا الشيخ عبدالله الإلهي قدس سره ولد في (سماونه) ناحية من نواحي ولاية (كرميان) من بلاد الأناطول وقدم على أعتاب الشيخ ، فثابر على خدمته حتى أحرز شرف المقامات الإلهية . ثم عاد الى بلاد الروم وحل في قصبه (يكيجه، وأرطال) فطار صيت إرشاده في الأقطار وقصد بالرحلة من كل الجهات حتى توفي سنة ست وتسعين وثمانمائة . وتربى عند الإلهي سادة من كمل الرجال أشهرهم العارف بالله (مولانا السيد أمير أحمد البخاري) قدس سره . كان من أكابر الأولياء صحيح النسب ، وهو من سلالة سيدنا الشيخ محمود الفغنوي قدس سره . قدم من بلاد العجم مع مولانا الإلهي الى تاشكند ثم تلقى النسبة من سيدنا أحرار ، وكان يبجله ويجله حتى دخل عليه مرة والشيخ في شغل فبالتفت فراه إعتذر اليه وقال : لم نقم بواجب تعظيمك فإني كلما رأيتك أشاهد منك نورين نور النسبة النبوية ونور السلالة الفغنوية . ولما أتم مرامه لحق بمولانا الإلهي بإشارة من الشيخ الى بلاد الروم ولازمه الى أن توفي فقام مقامه في تكميل الطالبين وهداية الراغبين . ثم توجه الى الحج فلما قضى تفثه أتى القسطنطينية فقضى بها نحبه ، وذلك في جمادى الآخرة سنة إثننتين وعشرين وتسعمائة نور الله ضريحه . ولمولانا السيد الأمير خلفاء كبراء عارفون بالله تعالى من أشهرهم ثمانية :

الأول ؛ سيدنا الشيخ مصلح الدين الطويل قدس سره . أصله من كرة النحاس في (قسطنون) . وكان من أكابر العلماء وكبار الأولياء المكرمين . وهو من مريدي سيدنا الإلهي ثم تكمل عنده حتى أصبح

أمة وحده . والثاني : العارف بالله تعالى سيدنا الشيخ عابد جلبلي القرمانلي قدّس سرّه . كان أيضاً من مريدي شيوخه ثم أتم سلوكه لديه حتى صار آية في الصالحين وهو من سلالة كبير الأولياء ووليّ الكبراء حضرة مولانا جلال الدين الرومي رضي الله عنه . والثالث : مولانا الشيخ بدرالدين بابا قدّس سرّه . لازم خدمة الشيخ حتى أصبح من العارفين . وبعد إنتقاله إستوطن مدينة (أدرنه) فكان لها بديراً منيراً مجاب الدعوة وبركة الأنام مرشد الى الله تعالى على الدوام ، حتى توفي ودفن بها تنوّز مرقدّه . والرابع : سيدنا الشيخ محمود جلبلي قدّس سرّه . كان من مريدي أستاذه ثم حظي عند مولانا السيد بإتمام المقامات ببركة خدمته وزوجه بابنته وأقامه مقامه من بعده وصار ممن يشار اليه بالولاية والإرشاد في كل الجهات . توفي عام ثلاثة وثلاثين وتسعمائة . والخامس : مولانا الشيخ لطف الله الاسكوبي . ولد وثوى في مدينة (اسكوب) من بلاد الروم . وكان متبحراً في علمي الظاهر والباطن ثم بنى صومعة في قسبة كوهستان وأقام بها حتى لقي الله تعالى . وقد هدي الى الله به أم كثيرة وأسلم على يده زمرة من رعاة الغنم الكفار لعظم ماكانوا يرونه من عبادته وهو في صومعته جزاه الله خير جزائه قدّس سرّه . السادس : سيدنا الشيخ محمود بن عثمان بن علي اللامي قدّس سرّه . تشرف بخدمة الشيخ وكان من ذوي الوجاهة والقبول عنده ، وله اليد الطولى في كل فضيلة لاسيما في النظم والنثر . ومن أثاره الماثورة ترجمة "نفحات الأنس" من لسان الفرس الى التركية . توفي في مدينة (بروسه) سنة ثمان أو تسع وثمانين وتسعمائة في محلة جكر . والسابع : سيدنا الشيخ حكيم جلبلي قدّس سرّه . حظي بشرف صحبة الشيخ وتوفي بالقسطنطينية نور الله مرقدّه . والثامن : مولانا الشيخ خضر بك جلبلي نجل أحمد باشا قدّس سرّه . من علماء الظاهر العظام في بروسه وعليه وظائف عالية . فتركها وقدم القسطنطينية وصحب الشيخ حتى صار من الأولياء الكرام قدّس سرهم .

وأكثر هؤلاء الثمانية من رجال "الشقائق النعمانية" وترجمتهم ثمّ مستوفاة . ومن أعظم أصحاب سيدنا أحرار شيخ هذه السلسلة وأعلى من سرى اليه سرّ هذه النسبة المجلبة سيدنا الشيخ محمد القاضي الزاهد قدّس سرّه .

سيدنا الشيخ محمد الزاهد القاضي السمرقندي قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ الْعَزِيزَ

خلاصة المتقين المتقنين وفذلك المرشدين الراشدين وصفوة الأولياء الزاهدين . ألفت إليه الخلافة الربانية إقليديها وأولته السلطنة الروحانية طريفها وتليدها . جمع بين العلوم الإلهية والشرعية واستوعب فضائل الطريقة والحقيقة ، فأصبح مصدر الواردت اللدنية ومظهر العلوم والمعارف الغيبية . فهو المفرد العَلَمُ في العِلْمِ والقلم ، الذي قام بأعباء الأسرار والامداد وتديبير دولة إرشاد العباد . فتبارك مَنْ شَيَّدَ بالإلهامات الصادقة قدره وسدّد بالكرامات الخارقة أمره وأتمّ في أوج عرفانه بين أقرانه بدره .
(كان) قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ من أولياء أصحابه وعيبة أسرارهِ وقبلة خطابهِ ووارث علومهِ وأنواره . صنّف كتاباً في ذكر فضائلهِ وخصائصهِ وشمائلهِ سَمَاهُ "سلسلة العارفين وتذكرة الصديقين" يقول فيه قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ :

"إني انتظمت في سلك خدمته سنة ثلاث وثمانين ولم أزل حتى إنتقل سنة خمس وتسعين . فكانت مدة تشرّفي بخدمته اثنتا عشرة سنة والحمد لله على ذلك" . (وكان) سبب إتصالي بجنابه أي خرجت مع رجل من طلبة العلم اسمه الشيخ نعمة الله من سمرقند نقصد هراة لطلب العلم ، فلما وصلنا الى قرية (شادمان) أقمنا فيها أياماً من شدة الحر . فبينما نحن كذلك إذ حضر اليها سيدنا الشيخ رضي الله عنه وقت العصر . فذهبنا لزيارته ، فسألني : من أين أنت ؟ فقلت : من سمرقند . فطفت يحدثنا أجمل الحديث وذكر خلال كلامه جميع ما أكننته في سري فرداً فرداً ، حتى أخبرني عن سبب سفري الى هراة . فلما وجدت ذلك تعلّق قلبي به كل التعلّق . ثم قال لي : إن كان مقصودك طلب العلم فهو متيسّر هنا . فتيقنت أنه مامت خاطر إلا وقد إطلع عليه هذا . ولم يخرج من قلبي محبة السفر الى هراة . فلما كوشفت بذلك قال لي لاتذهب الى القرشي بل الى بخارى . ثم إنصرفت وجئت صباحاً لأستنذنه ، فقال لي أحد أتباعه أنه مشغول بالكتابة . فتربّصت قليلاً فلما فرغ قام من مقامه وأقبل نحوي ثم قال : أخبرني بجلية أمرك ، هل مرادك من هراة تحصيل الطريق أو العلم . فدّهشت من جلالته وسكت . فقال له رفريقي : بل الغالب عليه الطريق وإنما جعل طلب العلم تستراً . فتبسّم وقال : إن كان كذلك فهو أفضل وأحسن . ثم أخذني الى جهة البستان فلم نزل نسير حتى غبنا عن أعين الناس ثم وقف ، ومنذ أخذ بيدي جاءتني غيبة امتدّت معي حتى استغرقت زمناً طويلاً . فلما أفقت رجم يحدثني رضي الله عنه ثم قال : لعلك تقدر أن تقرأ خطي . وأخرج من جيبه ورقة فقرأها وطواها ودفعها اليّ وقال : احفظها . وإذا فيها :

"حقيقة العبادة خضوع وخشوع وإنكسار يظهر على قلب ابن آدم من شهود عظمة الله تعالى . وهذه السعادة موقوفة على محبة الله تعالى وهي موقوفة على إتباع سيد الأولين والآخرين عليه من الصلوات أكملها ومن التحيات أتمّها . وهو موقوف على معرفة طريقه فلزم لذلك بالضرورة مصاحبة العلماء الوارثين لعلوم الدين ، وتلقي العلوم النافعة منهم حتى تظهر المعارف الإلهية المنوطة بمتابعته صلى الله عليه وسلم . ومجانبة علماء السوء الذين إتخذوا الدين وسيلة لجمع الدنيا وسبباً

للجاه ، والمتصوفة الرقاصين وأهل السماء الذين يتناولون مايجدون من حلال وحرام ، وعدم الإصغاء للمسائل المخالفة لعقائد أهل السنة والجماعة من مشكلات علم الكلام والتصوف والسلام" .

ثم رجع الى مجلسه وقرأ الفاتحة ورخص لي بالسفر الى هراة . فتوجهت كما أمرني قاصداً الى بخارى . فما سرت خطواتي إلا وتبعني بكتاب الى حضرة الشيخ كلان نجل الإمام الجليل مولانا سعدالدين الكاشغري قَدَسَ اللهُ سِرَّهُمْ ، وإذا فيه : "عليك بملاحظة أحوال حامل هذا الكتاب ومحافظته من مخالطة الأغيار" . فلما رأيت منه ذلك أخذ بمجامع قلبي محبة وإخلاصاً ولكن ما إنثنى عزمي ، بل أخذت الكتاب ومضيت . فوجدت في أثناء الطريق زحمة تامة ودغدغة أفراس الى بخارى . فلما وصلت اليها رمدت عيني رمداً شديداً . فلما شفيت تهيأت للسفر فأصابتنني حمى مزعجة جداً . فنظرت حينئذ في نفسي أنني إذا سافرت ربما أهلك . فرجعت عن ذلك العزم وانقطع أمني من السفر وعزمت على الرجوع الى خدمة حضرة الشيخ قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ حتى إذا وصلت الى تاشكند أحببت أن أزور الشيخ الياس العشقي بما أولاً . فأودعت ثيابي وكتبي ودابتي عند أحد الأحياب وذهبت . فلقيني أحد خدامه فقلت له ارجع معي لنزور الشيخ . قال وأين دابتك ، قلت قد أودعتها عند فلان . قال اذهب فات بها الى داري ثم نمضي للزيارة . فبينما أنا راجع إذ سمعت قائلاً يقول لي "قد فُقدت دابتك بما عليهما" . فتحيرت وتغيرت وجلست أتفكر في ذلك فوقع في قلبي أنه يحتمل أن يكون ذلك لعدم رضا حضرة الشيخ بهذه الزيارة ، فإن السادات رضوان الله عليهم لهم غيرة عظيمة على أتباعهم . فكيف يكون الشيخ قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ متوجهاً إليك هذا التوجه وأنت تقصد زيارة غيره فلا بد أن تُصاب بأكثر من ذلك . فأعرضت عنها وعقدت النية على زيارة سيدنا ومولانا قبل كل شيء . فما تم هذا الأمر إلا وجاءني شخص فقال لي : وجدت الدابة وما عليها . فأتيت الى مَنْ أودعتها عنده ، فقال لي : يا محمد اني كنت ربطت دابتك ههنا فبعد لحظة غابت عن نظري . فطفقت أفتش عنها فما وجدت حتى ينست منها . ثم رجعت فوجدتها واقفة وسط السوق بين الناس ولم ينقص مما عليها شيء مع ما في السوق من كثرة الإزدحام . فعجبت لذلك كل العجب ، ثم أخذتها وتوجهت الى سمرقند . فلما وصلت الى عند حضرة الشيخ رضي الله عنه تبسم وقال "أهلاً وسهلاً ومرحباً" فلم أفارق عتبته بعد .

(وقال قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ) كان رضي الله عنه إذا تكلم بالحقائق كثيراً ما يوجه خطابه اليّ ، وسألني مرة فقال : هل أنت إذا سمعت مني الكلام على الحقائق تغير حقيقتك التي تلقنتها من أبيك في صباك وتلقيتها من أستاذك ورسخت في قلبك ؟ قلت : لا . قال : إذا أنت أهلٌ لسماعها .

(وكتب فيه أيضاً) "إن سيدنا ومولانا مرض مرة فأمرني أن آتية بطبيب من هراة . فجاءني مولانا قاسم قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ وقال : يامولانا محمد أسرم في ذهابك وإيابك فإني لأستطيع أن أرى سيدنا ومولانا مريضاً . وحرصني تحريضاً تاماً . فلما جئت بالطبيب وجدت الشيخ قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ قد شفي ومولانا قاسم قد توفي . وكانت مدة غيابي عنه خمساً وثلاثين يوماً فسألت الشيخ عن سبب وفاته فقال : "جاءني ذات يوم فقال : اني قد فديتك بنفسي . فقلت له : لاتفعل هكذا ، فإن المتعلقين بك كثيرون وأنت رجل شاب . فقال : ماجنتك مستشيراً في هذا الأمر بل قررته في نفسي وصممت عليه وجنت وقد قبل الله مني ذلك . ولطالما راجعته في ذلك ونهيته عنه فما قبل ومازال مصرّاً على جوابه الأول وانصرف . قال ففي اليوم الثاني إنتقل مرض الشيخ بعينه الى مولانا قاسم وتوفي به . وذلك يوم

الإثنين لستَ خلت من شهر ذي الحجة سنة إحدى وتسعين وثمانمائة . وبرا الشيخُ برءُ تاماً فلم يحتج للصليب الذي أتيت به " .

(ولما احتضر) سيدنا ومولانا رضي الله عنه اجتمع عنده جميع أولاده وأحفاده وأصحابه الخاصة والعامة . فقال لهم "ليختار كل منكم إما الغنى وإما الفقر" فقال له الشيخ محمد قدس الله سره : إختياري إختيارك . فقال : أنا أختار الفقر . ثم التفت الى خازنه وقال له اعطه أربعة آلاف شاهرخيه ليستعين بها على مؤنة الفقراء الذين يجتمعون عنده ويتفرغ لخدمتهم .

(وله) أصحاب كالنجوم في هداية الخصوص وبركة العموم أعظمهم إثنان :

الأول : العارف بالله تعالى مولانا الخواجي الكاسپاني قدس سره نسبة الى قرية (كاسپان) في جانب ولاية الأخصى . قدم بعد إستيفاء حظه من كافة العلوم على أعتاب الشيخ ونال ببركته أعلى منازل الأولياء الكاملين . ثم استوطن (دهبيدة) من أعمال بخارى يرشد السالكين ويدعو الى الله تعالى المؤمنين حتى لقي ربه ، وذلك سنة تسع وأربعين وتسعمائة . ولمولانا الكاسپاني أربع أصحاب وخلفاء أحباب وهم : العارف بالله الشيخ دوست الصحاف قدس سره وأصله من ولاية الأخصى . خدم أعتاب الشيخ حتى صار من كبار المرشدين الكاملين ثم رحل الى بلخ وتوفي بها عام أربعة وسبعين وتسعمائة قدس سره . والعارف بالله الشيخ خرد قدس سره ولد في (أرجاكت) من ولاية الأخصى وخدم رحاب مولانا الكاسپاني بصدق وإخلاص ، فنال من مقامات العرفيت أعلاها ومن منازل الأولياء أسناها . ولم يزل يدعو الخلق الى الله حتى إنتقل ، وذلك عام ستة وتسعين وتسعمائة في (أرجاكت) نور الله مرقده . والعارف بالله تعالى الشيخ محمد إسلام الجويباري البخاري . نشأ بها ثم لما أدرك من الفضائل قصارى مرامه قدم لأعتاب سيدنا القاضي محمد ولازم خدمته ونال نظره وهمته . ولما توفي إتصل بخدمة مولانا الكاسپاني فصار بأدنى مدة من أكابر أصحابه . وكان بركة زمانه وسيد أقرانه أشتهر بالولاية إشتهار الشمس وصار أية في الإرشاد حتى إنتقل الى حظيرة القدس ، وذلك في صفر سنة إحدى وسبعين وتسعمائة في بلدة (سمتين) من أعمال بخارى عن ثمان وثمانين سنة نور الله ضريحه . ولمولانا الجويباري ثلاثة أصحاب وهم : نجله العارف بالله تعالى الشيخ كلان قدس سره ، تخرج على يدي والده وسلك عنده حتى بلغ مبلغ الكبراء من الأولياء . ولما توفي قام مقامه في إرشاد الخلق الى طريق الحق نور الله روضته . والإمام الرباني مجدد الألف الثاني الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي قدس الله سره وهو أيضاً من أصحاب الخواجه محمد الباقي وسيأتي في نظم السلسلة بعد الشيخ محمد الباقي ذكر ترجمته مفصلاً نفعنا الله به . والعارف بالله تعالى الشيخ يونس الترك قدس سره . كان من أجل أصحاب مولانا الجويباري وكان كبير الشأت رفيع القدر في الإرشاد والإمداد والبركة للعباد نور الله مثواه .

الثاني : من خلفاء مولانا محمد القاضي قدس سره شيخ هذه السلسلة وأعظم من سرى اليه سر هذه النسبة المجللة ابن أخته سيدنا الدرويش محمد قدس سره .

سيدنا الدرويش محمد السمرقندي قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ الْعَزِيزَ

غوث الأولياء الأعلام وغيث علماء الإسلام ، المُشْرِقُ فِي الْمَغْرِبِ والمُشْرِقُ نور بركته والمُشْرِقُ على دولة الإرشاد وإرشاد دولته . تربي في حجر خاله ونال مزيد فضله وأفضاله بما تَضَلَّم من العلوم الشرعية وإرتضم من ثدي التربية الربية الى أن ارتوى من الحقائق الإلهية والمعارف الغيبية وصار بما أوحى اليه هو المعوَّل عليه .

واشتهر من بعده بالولاية العظمى والعلم الأسمى والقدر العلي والفضل الجلي حتى عرف في أيامه بالدرويش ولي . ولما حوى من الهدى ماحوى ومال على محو الضلال كالسيك إذا إنهال والنجم إذا هوى ماضلاً صاحبه وماغوى ، بل جمع من الخواطر أشتاتها ووصل من العزائم بتاتها وأحيا من النفوس أمواتها وقدر فيها من الخير أقواتها ، حتى غدا بركة زمانه وإنسان عين الإرشاد وعين إنسانه .
(توفي) في (... ؟) سنة (... ؟) وله أصحاب كثيرون كلهم هادون مهديون . وأعظم من سرى اليه سرّ هذه النسبة المصمّرة شيخ هذه السلسلة نجله المبجل سيدنا محمد الخواجكي الإمكنكي قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ .

سيدنا محمد الخواجكي الأمكنكي السمرقندي قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ الْعَزِيزَ

خلاصة خاصة الأولياء وارث علوم الأنبياء ، فهو الإمام المتففق على جلالة منزلته والمرجو بركة فضله . ولد في (... ؟) سنة (... ؟) وتخرج على حضرة والده . وفاز بطارف مجده وتالده الى علوم كالجبر الزاخر ومعارف كم تركها الأول للآخر . ولم يزل في بدايته بعين هدايته ملحوظاً وفي فلك سلطنة تربيته محظوظاً حتى صار لمناقبه لوحاً محفوظاً لايدم فضيلة جليّة إلا أحصاها ولا ضيعة وضيفة إلا أقصاها ولا مقامات عالية إلا طواها ولا أسراراً غالية إلا حواها ولا أذواقاً غامضة إلا جَلَّأها . فكان تلو والده كالشمس وضحاها والقمر إذا تلاها . جلس في دست الخلافة بعده وبذل في إحياء القلوب جهده ولبس خلعة القبطانية فلا ذرّة في العالم إلا وهو يمدّها بالروحانية . فأشرق في همته بدر هذا الطريق وصار فريق خيره خير فريق وطار صيت إرشاده ووفور إمداده وبعد مداه . فهرع الناس الى إقتباس هدى أنواره وأنوار هداة حتى صار بابه محط رحال العارفين وقبلة قلوب الصلحاء المتقين ومستغاث الطالبين عليه من هيبة الكرامات والكشف أكبر جلالة ، ومن عظمة التجليات الذاتية مايدل على سمو مقامه في الحضرة الإلهية أكمل دلالة .
(والخواجكي) اسمه الكريم وهو نسبة الى خواجه وأبدلت هاؤه كافاً على عادة الفرس . وقال في " شرح سلسلة الذهب " وفي ذلك الإسم مدم عظيم . (والإمكنكي) نسبة الى (إمكنه) بكسر الهمزة وسكون الميم وفتح الكاف والنون ثم هاء ، أبدلت كافاً كذلك قرية من قرى بخارى . وله خلفاء كاملون أولياء . وأكمل من سرى اليه سرّ هذه النسبة العلية شيخ هذه السلسلة الشيخ محمد الباقي رضي الله عنه وعنهم .

سيدنا الشيخ مؤيد الدين محمد الباقي قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ العَزِيز

العارف الفاني بالله والباقي بذاته الراقي في أوج الشهود الى أوج مقاماته . كان سرّاً من أسرار الله وأية من آياته . جمع بين شرفي العلوم والمعارف وجرّ على طرفي بحر العلاء المطارف . أتاه الله من العلمين والتصرف في العالمين مايدلّ على سموّ قدره عنده وإنه يحشر يوم القيامة أمة وحده . وما أقصر لساني وأصغر بنان بياني في ترجمة من قال في شأنه سيدنا الإمام الرباني مجدّد الألف الثاني ما نصّه :

القائم مقام المشايخ العلية والنائب مناب الأكابر النقشبندية الواصل الى نهاية النهاية ، البالغ أقصى درجات الولاية . قطب مداد الخلائق كاشف أسرار الحقائق الفرد الكامل في المحبة الذاتية المحقق الجامع لكمالات الولاية المحمدية . مسند أهل الإرشاد والهداية مرشد طريق درج النهاية في البداية ، زبدة العارفين قدوة المحققين شيخنا وملادنا ومولانا الشيخ الأجلّ والعارف الأكمل محمد الباقي أبقاه الله تعالى . اه .

(ولد قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ) في نواحي كابل من بلاد العجم التابعة لسلطنة الهند ونشأ بها . ثم قدم الهند لأمر من الأمور الدنيوية ، فأدركته جذبة من جذبات الحق قوية . فأعرض عن الدنيا وأربابها وجدّ في تلقي العلوم عن سادات العصر وفضلاء كل مصر والأخذ عن العارفين والإستفاضة من قلوب الأولياء وروحانية المرشدين ، حتى صار في المعقول بحراً وفي المنقول حبراً وفي كل فضيلة فرداً . ولم يال في السياحة جهداً الى أن وصل الى مدينة سمرقند ، واتصل بحضرة الخواجي قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ . فتلقّى منه حضرة طريق النقشبند فرقى في أقرب أوقاته الى أعلى درجاته . وكانت تربيته روحانية غوث الأبرار سيدنا الشيخ عبيدالله أحرار قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ وشرف في الملأ الأعلى قدره . ثم أجاز له تربية المريدين وإرشاد المسترشدين وأمره بالعودة الى الهند وبشره بتربية شمس سرهند أعني الإمام الرباني . فرجم اليها وتوطنت مدينة (دهلي جهات آباد) فملأها بالإيمان والعرفان والأسرار والأنوار والإمداد والإرشاد . وما انتشرت في جميع الأقطار الهندية عوارف معرفة الطريقة النقشبندية إلا من أرج رياض فضله ، إذ ما كانوا يعرفونها من قبله . فأقبلت اليه الأمم بما جذبهم به من علو الهمة وقوة التصرفات الإلمية والخصائص المحمدية حتى صار كل من يقيم بصره الشريف عليه أو يحضر مجلس ذكره أو يجلس بين يديه يحصل له الغيبة والفناء من أول وهلة . وإن لم يحسب في الظاهر أهله وربما إنكشف له عن عالم الملك والملوكوت بلا مهلة .

(توفي) يوم الأربعاء رابع عشر جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وألف في مدينة دهلي وله أربعون سنة وأربعة أشهر وقبره الشريف بها على غربها عند أثر قدم النبي صلى الله عليه وسلم يُستغاث به .
(وخلفاؤه) أكثر من أن تُذكر ، من أكملهم خلاصة الأولياء العارفين الشيخ تاج الدين العثماني الهندي معرّب "الرشحات والنفحات" قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ . والعارف بالله تعالى المير حسام الدين قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ . وأعظم من تلقى سرّ هذه النسبة المطهرة منه شيخ هذه السلسلة الإمام الرباني الشيخ أحمد الفاروقي رضي الله عنه .

الإمام الرباني مجدد الألف الثاني سيدنا الشيخ أحمد الفاروقي السهرندي قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ الْعَزِيزَ

درة إكليل الأولياء العارفين و غرة جبين الأصفياء الغرّ المحجلين ، كنز فضائل السلف والخلف وجامع فرقان المحامد والمكارم والشرف . طور التجليات الذاتية وسدرة منتهى العلوم الأحدية ومنهل معارف الوراثة المحمدية ، ومظهر إرشاد الحقائق الأحمدية وفضلّة العلماء بالله عزّ وجلّ ، والقائم بأمر الله بلا وجل الذي تشرفّ العصر بوجوده وتبسم ثغر الدهر عن جود سعوده وسعود جوده . المرشد الكامل المكمل والمنقذ المخوف المؤمل ، بك أكمل المرشدين ومرشد الأكمليين . داعي الخلق بالحق الى الحق القطب الأوحد والعلم المفرد الإمام الرباني مجدد الألف الثاني سيدنا ومولانا الشيخ أحمد الفاروقي السهرندي ابن الشيخ عبدالأحد بن زيت العابدين بن عبدالحى بن محمد بن حبيب الله ابن الإمام رفيع الدين بن نور بن نصيرالدين بن سليمان بن يوسف بن عبدالله بن إسحق بن عبدالله بن شعيب ابن أحمد بن يوسف بن شهاب الدين المعروف بفرخ شاه الكابلي ابن نصيرالدين بن محمود بن سليمان بن مسعود بن عبدالله الواعظ الأصغر ابن عبدالله الواعظ الأكبر ابن أبي الفتم بن إسحق بن إبراهيم بن ناصر بن سيدنا عبدالله بن أمير المؤمنين خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الثاني سيدنا عمر الفاروقي رضي الله عنه وعنهم أجمعين .

(ولد قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ) يوم عاشوراء سنة إحدى وسبعين وتسعمائة في بلدة (سهرند) (بسين مهملة فهاء فراء مهملة ودال مهملة) كذا أوردها حفيده الشيخ محمد مظهر في ترجمته . وفي بعض نسخ السلسلة الشريفة سرهند بتقديم الراء على الهاء . ولعل الأولى هي الأولى لأن صاحب الدار أدرى وهي مدينة من أعمال الاهور في الهند .

عنوان شأنه وشأن عنوانه

تلقى العلوم كلها معقولها ومنقولها عن والده المشار اليه وعن غيره من محققي زمانه واشتغل بالطرق الثلاث القادرية والسهروردية والچشبية على والده قَدَسَ اللهُ سِرَّهُما حتى أذن له بالإرشاد والإستخلاف في الطريق المنوّه بها وهو ابن سبعة عشر سنة . فمازال مشتغلاً بنشر العلوم والمعارف وتربية السالكين وهداية المريدين وإرشاد الطالبين وفي نفسه شغف عظيم وميل قوي لتحصيل نسبة الطريقة العلية النقشبندية ، لعلمه بفضلها على سائر الطرق وعلوّ نسبتها على كلّ النسب ، حتى اجتمع بغوث الزمان العارف بالله تعالى سيدنا الشيخ محمد الباقي قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ . وقد كان أرسله شيخه القطب الكبير والإمام الشهير سيدنا محمد الخواجكي الإمكانكي قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ من بخارى الى الهند . فأخذ عنه الطريقة النقشبندية ولازمه ففاز بأعلى المرام في مدة شهرين وبضعة أيام ، حتى شهد له شيخه قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ بالمرادية والمحبوبة والكمال والتكميل وفوض اليه تربية مريديه ، بك طلب منه الإمداد لنفسه . وقال في حقه إنه القطب الأعظم . فتصدّر للإرشاد وهداية العباد وعمّ نفعه كل حاضر وباد :

أتته الخلافة منقادة إليه تجرر أذيالها
فلم تك تصلح إلا لـه ولم يك يصلح إلا لها
فلورامها أحد غيره لزلزلت الأرض زلزالها

سعود وجوده ووجود سعوده

أخبر بوجوده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : " يكون في أمتي رجل يقال له (صلة) يدخل بشفاعته كذا وكذا" أخرجه السيوطي في "جمع الجوامع" ويدل لذلك ماكتبه قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ في أحد مكاتيبه : "الحمد لله الذي جعلني صلة بين البحرين ومقتبساً لأنوار النَّبِيِّينَ" .

(وذكر) الشيخ المير حسام الدين أحد خلفاء إمام العارفين شيخه الشيخ محمد الباقي قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام على المنبر وهو يثني على الشيخ أحمد السمرندي ويقول اني أباهي وأفتخر بوجوده في أمتي وإن الله تعالى جعله مجدداً أمتي .

(وقد بشر بظهوره) كبار الأولياء أيضاً كما ذكر ذلك في المناقب ، (فمن ذلك) مانقله مولانا الشيخ بدرالدين السمرندي عن قدوة العلماء العارفين بالله الشيخ أحمد الجامي قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ انه قال : "يجيء من بعدي سبعة عشر رجلاً من أهل الله يسمون أحمد آخرهم يخرج على رأس الألف هو أعلاهم" . وأجمع الجماء الغفير من أهل الكشف على أن المراد به صاحب الترجمة قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ .

(ومنه) ما قاله مولانا الخواجي الإمكنكي لخليفته الشيخ محمد الباقي قَدَسَ اللهُ سِرَّهُما أنه يخرج رجل من الهند يكون أمام عصره يصير فتوحه على يديك ، فأسرع إليه فإبأه الله منتظرون قدومه . فلما توجه من بخارى الى الهند واجتمع به المحدد قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ وأخذ عنه قال له أنت ذلك المبشر به (وقال أيضاً) لما وصلت الى سمرند رأيت في الواقعة رجلاً قبيحاً لي أنه قطب زمانه ، فلما رأيتك عرفتك بتلك الحيلة والصورة .

(وقال له أيضاً) لما دخلت سمرند وجدت هناك مشعلاً يوقد في غاية العظم والعلو حتى كأنه بلغ عنان السماء وقد امتلأ من نوره شرقاً وغرباً والناس يستوقدون منه سراجاً سراجاً . قال وهذا هو شأنك . (ومنه) إن صفوة الأولياء العارفين شيخ أبيه الشيخ عبدالأحد في الطريق القادري الشاه كمال الكتيهلي قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ . أودم عند حفيده العارف بالله تعالى شاه أسكندر جبة مباركة مورثة كما قيل عن الغوث الأعظم الشيخ عبدالقادر الكيلاني رضي الله تعالى عنه ، وقال إحتفظها حتى يظهر صاحبها . فلما ظهر المجدد أمره في الواقعة أن يوصلها إليه أخبره أنه أهلها فلم يوصلها ثم خاطبه في سره ، فلم يفعل فعاتبه في الثالثة . فأتى بها إليه وألبسه إياها ، فنال بذلك من الأحوال العظيمة ما نال .

(ومنه) أن تاجر جليلاً معروفاً بالصدق والأمانة وعليه سيما الصلاح ذكر أنه كان في بدايته عظيم الاعتقاد والمحبة للغوث الأكبر سيدنا الشيخ عبدالقادر الكيلاني رضوان الله تعالى عليه . قال وكان يظهر لي أحياناً ويبشرنني بأمور نفيسة ويفيثنني في مهماتي . فقال لي يوماً في الواقعة : إنك وإن نلت مني مدداً عظيماً ولكنك لا بد لك من شيخ في الظاهر . فقلت له : الى من أرجع ؟ قال : الى الشيخ أحمد السمرندي فإنه اليوم الجامع بين الظاهر والباطن وهو قطب زمانه . فلما اجتمعت به رأيت عجائب الكرامات وغرائب الكمالات .

(ودخل) رجل من أكابر أولياء بلخ الى سمرند فلما رأى الشيخ قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ قال اني كنت في بلخ .

فحضرت جنازة قد اجتمع لها كافة أولياء ماوراء النهر من السلف والخلف مثل العارف الكبير والقطب الشهير سيدنا الشيخ عبدالخالق الجعدواني والغوث الأعظم سيدنا الشيخ محمد بهاء الدين النقشبند رضي الله عنه ووقفوا ينتظرون قدوم الأقطاب . فبينما هم كذلك إذ جاء رجل جليل المقدر باهر الأنوار فقدّموه فأهمهم . فسألت عنه ففيل لي إنه الشيخ أحمد السهرندي .

سلوك الملوك وملوك السلوك

(قال قدّسَ اللهُ سرّه) أعلم أن العناية الإلهية جذبتني جذب المرادين أولاً ، ثم يسّرت لي طي منازل السلوك ثانياً . فوجدت الله سبحانه أولاً عين الأشياء ، كما قاله أرباب التوحيد الوجودي من متأخري الصوفية . ثم وجدت الله في الأشياء من غير حلول ولا سريان ثم وجدته سبحانه معها بمعوية ذاتية . ثم رأيته بعدها ثم قبلها ثم رأيته سبحانه ومارأيت شيئاً وهو المعنى بالتوحيد الشهودي المعبر عنه بالفناء . وهو أول قدم توضع في الولاية وأسبق كمال في البداية . وهذه الرؤية في أي مرتبة من المراتب المذكورة تحصل أولاً في الأفاق ، ثم ثانياً في الأنفس . ثم ترقّيت في البقاء الثاني وهو ثاني قدم في الولاية . فرأيت الأشياء ثانياً فوجدت الله تعالى عينها بل عين نفسي . ثم وجدته تعالى في الأشياء بل في نفسي ثم مع الأشياء بل مع نفسي . ثم قبل الأشياء بل قبل نفسي ، ثم بعد الأشياء بل بعد نفسي . ثم رأيت الأشياء ومارأيت الله تعالى أصلاً . وهي النهاية التي هي الرجوع الى البداية والعودة الى مرتبة العوام . وهذا المقام هو أتم مقامات دعوة الخلق الى الحق وأكمل منازل التكميل والإرشاد لتمام المناسبة للخلق المقتضية لكمال الإفادة والاستفادة .

(وقال قدّسَ اللهُ سرّه) لما صحبت القائم اليوم مقام المشايخ العلية والنائب مناب الأكابر النقشبندية الواصل الى نهاية النهاية البالغ أقصى درجات الولاية . قطب مدار الخلائق كاشف أسرار الحقائق . الفرد الكامل في المحبة الذاتية المحقّق الجامع لكمالات الولاية المحمدية . مسند أهل الإرشاد والهداية . مرشد طريق درج النهاية في البداية . زبدة العارفين قدوة المحققين شيخنا وملاذنا ومولانا الشيخ الأجلّ والعارف الأكمل محمد الباقي أبقاه الله تعالى . حصل لي ببركة توجهه الجذبة التي تشعبت بعد الإستهلاك في صفة القيومية . وتشرّفت باندرام النهاية في البداية . ثم حصلت لي مراتب السلوك ووصلت الى النهاية التي هي عبارة عن الوصول الى الاسم الرب بمدد أسد الله الغالب كرم الله تعالى وجهه . ثم ترقّيت القابلية التي هي عبارة عن الحقيقة المحمدية بمدد الشيخ بهاء الدين شاه نقشبند قدّسَ اللهُ سرّه العزيز الى مقام إجمال تلك القابلية وهو مقام الأقطاب المحمدية بمدد الروح المقدّسة النبوية . وفي أثناء ذلك حصل لي مدد يسير من الشيخ علاء الدين العطار قدّسَ اللهُ سرّه . ولما وصلت الى ذلك المقام أعطيت خلته القطبية من الحضرة المحمدية ثم جذبتني العناية الإلهية فعرجت الى مقام الأصل الممتزج بالظل الذي فوق مقام الأقطاب المختص بالأفراد . ثم أدركتني العناية الصمدانية فأوصلتني الى مقام الأصل الخاص . وفي هذا العروج وصل الي من الغوث الكيلاني قدّسَ اللهُ سرّه العزيز مدد عظيم وتصرف قوي أوصلني الى مقام أصل الأصل . ثم نزلت الى العالم المعبر عنه بالسير عن الله بالله . فمررت إذ ذاك على مقامات مشايخ السلاسل سوى النقشبندية والقادرية . فاستقبلوني بالتعظيم والإكرام وألقوا علي من نفائس نسبهم وخصائص مواجيدهم وإنكشفت لي حقائق كل منها وتفاوت درجاتها . وكان حصول العلوم اللدنية من روحانية الخضر على نبيينا وعليه السلام قبل وصولي الى مقام الأقطاب المذكور سابقاً . وبعد

الوصول الى ذلك المقام يأخذ الواصل العلوم من حقيقة نفسه كل ذلك بوراثته صلى الله عليه وسلم .

بروج عروجه وعروج بروج

(قال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) كثيراً ما كان يُعرج بي فوق العرش المجيد ولقد عُرِجَ بي مرة . فلما ارتفعت فوقه بقدر ما بين مركز الأرض وبينه رأيت مقام الإمام شاه نقشبند رضي الله عنه . ورأيت فوق ذلك قليلاً مقامات بعض المشايخ منهم الشيخ معروف الكرخي والشيخ أبو سعيد الخراز رضي الله عنهما ، والبعض في مقامه وتحتهم والشيخ نجم الدين الكبري والشيخ علاء الدين العطار وسائر المشايخ دونه . وفوق هذه الدرجات مقام أئمة أهل البيت والخلفاء الراشدين وكافة الأنبياء . وفوقهم على طرف مقام نبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام ، ومقامات الملائكة على الطرف الآخر ومقامه صلى الله عليه وسلم أرفع وأعلى . واعلم أنني كلما أريد العروج يتيسر لي وربما يقم من غير ما قصد .

إكراماته وكراماته

ولقد خصه الله تعالى بفضيلة نشر العلوم اللدنية ، وبيان مراتب الولاية والنبوة والرسالة وكمالات أولي العزم ودرجات الخلة والمحبة وإظهار أسرار الذات والشؤون الإلهية بما لم يسبق إليه الى أذواق شريفة عالية ومذاهب لدنية عالية لو لم يكن منها إلا رتبة تجديد الألف الثاني لكفى .

(وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) روى أبو داود عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها" . لكن بين من يجدد المائة ومن يجدد الألف من الفرق كما بين المائة والألف بل أعظم من ذلك . (وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) بشرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنك من المجتهدين في علم الكلام ويغفر الله بشفاعتك لألوف يوم القيامة وكتب لي خط الإرشاد بيده الشريفة وقال : "لم أكتب لأحد قبلك مثله" . (وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) العلوم والمعارف الصادرة عني هي خارجة عن طور الولاية وإنما هي مقتبسة من مشكاة أنوار النبوة على مصدرها الصلاة والسلام . جُددت بتجديد الألف الثاني بطريق التبعية والولاية تعجز أرباب الولاية كالعلماء عن إدراكها ، لأنها وراء علوم العلماء ومعارف الأولياء ، بل علوم هؤلاء بالنسبة الى تلك العلوم قشر وتلك العلوم لبابها لاتخالف الشريعة ، بل هي أساس الدين وخلاصة علم الذات والصفات تعالت وتقدست وماتكلم بها أحد من العظماء ولا الكبراء ، إستأثر الله سبحانه بها هذا العبد . فصاحب هذه العلوم والمعارف مجدّد . والمجدد هو الذي لايفيض من الحق على جميع العالم مدة تجديده شيء إلا بواسطته .

(وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) قد كشف لي التوحيد الوجودي وألقيت علي علوم كثيرة ومعارف جمّة ورقائق وأفية من هذا المقام ولاحت لي معارف مظهر الصفة العملية الشيخ الأكبر رضي الله عنه . وتشرّفت بالتجلي الذاتي الذي بينه الشيخ وجعله نهاية العروج وخصه بخاتم الولاية مفصلاً موضحاً . (وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) كشفت لي خفايا المتشابهات القرآنية وأسرار المقطعات الفرقانية . فوجدت تحت كل حرف منها بحراً من العلوم الدالة على الذات العلية ، لو أظهرت شيئاً منها لقطع مني الحلقوم . (وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) أطلعني الله على أسماء من يدخلون في سلسلتنا من الرجال والنساء الى يوم القيامة وإن نسبتني هذه تبقى بواسطة أولادي الى يوم القيامة ، حتى إن الإمام المهدي سيكون على هذه النسبة الشريفة .

(وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) كنت مرة في حلقة الذكر مع أصحابي فخطر لي أنني في تصور ونقص ، فألقي

التي في الحال "إني قد غفرت لك ولمن توسل بك اليّ بواسطة أو بغير واسطة الى يوم القيامة". (قال قدس الله سره) كان تكويني من بقية طينة حبيبه صلى الله عليه وسلم . (وقال قدس الله سره) أريت الكعبة المطهرة تطوف بي تشریفاً منه تعالى وتكريماً لي . (وقال) بشرني الحق تعالى بأن من صليت على جنازته غفر له وأنه من وضع في قبره تراب من قبوري لأيعذب . (وقال) أطلعني الله على قبور الأنبياء المبعوثين الى أرض الهند بحيث أرى أنواراً ساطعة من قبورهم .

(وقال) ألقى اليه أن هذه الخصائص والكمالات التي أوتيتها لاينالها أحد غيرك الى زمن المهدي عليه السلام . (وقال) إن الله تعالى أعطاني قوة عظيمة في أمر الهداية بحيث لو توجهت الى خشبة يابسة لاخضرت .

(وكتب اليه بعض المشايخ) إن المقامات التي تدعيها هل نالها الصحابة أو لا وعلى الأول هل نالوها دفعة واحدة أو تدريجاً؟ فأرسل اليه إن الجواب موقوف على حضورك . فحضر فتوجه اليه بجمعية المقامات . فترامى في الحال على قدميه وقال : "أمنت أن جميع المقامات كانت تحصل للصحابة رضوان الله عليهم بمجرد نظره صلى الله عليه وسلم" . (ودعا) للإفطار في شهر رمضان المبارك عشرة من مريديه فأجابهم فلما كان وقت الغروب حضر عند كل واحد من العشرة في أن واحد وأفطر عندهم . (وأمر السلطان) يوماً بقتل رجل فالتجأ الى حضرته وطلب منه أن يكتب له براءة من القتل ، فكتب له ذلك . فلما بلغ السلطان لم يقدر أن يتعرض له هيبةً منه قدس الله سره .

(وقصد) زيارته رجل من بلاد شاسعة فأتى سهرند ليلاً وبات عند أحد المنكرين على الشيخ قدس الله سره وهو لا يشعر ، فسأله عن سبب شخوصه الى سهرند ، فقال له : جئت لزيارة الشيخ . فجعل يطعن فيه ، فلما رأى الرجل ذلك خاف وصار يستغيث به قدس الله سره ويقول في سره "ياسيدي اني جئت لطلب الحق وهذا يصدني عنه" ثم نام . فلما كان وقت الفجر إذا بصاحب البيت قد مات ليلاً . فأسرم الرجل الى الشيخ وأراد أن يعرض عليه الخبر . فنظر اليه وتبسّم وقال : ماضى في الليل لا يذكر في النهار .

(وأتاه) مجذوم يطلب منه الدعاء فدعا له فشفي في الحال . (وقال نجله الأكبر) خازن الرحمة سيدنا الشيخ محمد سعيد قدس الله سره : كثيراً ماكان يخبرني الشيخ نفعنا الله بالأمر خيراً كان أو شراً قبل وقوعه ، فيقم كما يقول بلا تفاوت أصلاً .

(وقال الشيخ رضي الله عنه) جاءتني روحانية أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه ، فقالت اني بعثت اليك لأعلمك علم السموات . (واجتمعت) بروحانيات الإمام الأعظم أبي حنيفة وأساتذته وتلامذته والإمام الشافعي وأساتذته فأمدوني بامدادهم وأفاضوا عليّ من بركاتهم حتى استفرقت في أنوارهم . (وريتني) روحانية حضرة السادات النقشبندية والقادرية والچشتية والسهروردية فتحليت بنسبتهم الخاصة حتى صرت لو أردت أن أربي السالكين بنسبة كل واحد منهم لفعلت .

محنة المنحة ومنحة المحنة

لقد جرت عليه قدس الله سره سنة الله في عباده المخلصين من ابتلائهم بايذاء الظلمة وإنكار أهل الظاهر عليهم ليُرفم عنده من جليل شأنهم ويعظم لهم أجراً ، وذلك لما رأوا من عظيمة ظهوره وإشتمار فضله في الدنيا . وعموم نفعه وإمتداد سلسلته المطهرة من الهند الى ماوراء النهر والروم والشام والمغرب . ثم إنه قدس الله سره كانت ترد له الكتب من أتباعه في كل جانب مشحونة بالمسائل العلمية

المتعلقة بالطريق العلية وحقائق الصوفية . فيجيب قَدَسَ اللّهُ سرَّهُ عنها بما أفاض الحقّ تعالى عليه من توضيح لما قاله أهل الله عزّ وجلّ تارة ومناقشة تارة أخرى وتسليم له لموافقته لكشفه وإظهار اختيار مرة أخرى انه خالف الشيخ الأكبر رضي الله عنه في وحدة الوجود وأبا يزيد رضي الله عنه في قوله "لو أن العرش وما حواه مائة ألف مرة في زاوية من زوايا قلب العارف ما أحس به . وأظهر حقيقة الكعبة القران والصلاة وفصل مقامات العارفين وأذواقهم" . وذكر أن الحقّ تعالى جمع له بين القطبية والفردية والمحدثية والولاية الخاصة الناشئة من المحببة والمحبووية وخصّه بدوام التجلّي الذاتي وأشبع الكلام على كل مسألة بما لايسم الموفق إلا الوقوف عليه والتسليم له مما لم يسبق اليه . وربما تكلم على آية كريمة أو حديث شريف من طريق الإرشاد ، فاجتمع من ذلك ثلاثة مجلدات ضخمة تكتب بماء العيون . فابتعد بعض علماء عصره على كلام وقع منه فيها يُشعر بأن مقامه أعلى من مقام الصديق الأكبر رضوان الله عليه . ورفعوا الأمر الى السلطان نورالدين جهانكير . فلما حضر عنده قال له : أحتق مايقولون ؟ قال : نعم إلا أن ذلك بطريق التبعية لا الأصالة . فهو من قبيل ما إذا طلبتم أدنى الخدم لتسرون اليه حديثاً . فلا يصل هذا الخادم الى مقامكم الأبعد الأبعد طي منازل الأمراء . ثم يعود الى محله الأول ، فلا يلزم أن يكون مقامه فوق مقام الأمراء . فارتضى السلطان منه بذلك الجواب . فلما أبصر المنكرون أنه قد أخفق سعيهم فيه قال بعضهم للسلطان ألم تر تكبر هذا الشيخ ، فإنه ماسجد لكم وقت دخوله بك ولا تواضع المتواضع المتعارف مع أنكم ذلك الله في أرضه وخليفته في خليقته . فاستفزّه الغضب وأمر بسجنه في حصن (كُوَاليار) (بكاف مضمومة فواو فالف فلام ساكنة فتحتية فالف فراء مهملة) من أمنع حصون الهند وأشهرها . وكان السلطان شاه جهان ابن السلطان جهانكير مخلصاً للشيخ قَدَسَ اللّهُ سرَّهُ جداً ، فقبل أن يحضر عند والده . أرسل اليه أفضل خان والشيخ عبدالرحمن المفتي مع كتب من الفقه يقول له : "جوز العلماء سجدة التحية للسلطان فأنتم إن سجدتم له عند لقائه فأنا أضمت أنه لا يصل اليكم منه ضرر" . فلم يقبل منه بل قال : "هذه رخصة والعزيمة أن لا يسجد لغير الله تعالى" . وليث في السجن ثلاث سنين ، ثم أخرج به بشرط أن يقيم في معسكره ويدير معه . فأقام كذلك ثلاث سنين أيضاً ، ثم أطلقه فعاد الى سهرند والعود أحمد . (وذكر نجله الأكبر قدس سره) أن سبب إطلاقه انه كان مع ما عليه الحصن من الحصانة والحرس الشديد المحدث به من كل الجوانب يخرج رضي الله عنه لصلاة الجمعة ، فيصلي ثم يرجع ولا يعلمون من أين يخرج . فلما رأوا منه ذلك أخرجوه من السجن ثم أطلقوه مطلقاً وإذ لم يمكن مدة حبسه أن يرشد الناس بنفسه جعل يرشدهم بكتبه نفعنا الله تعالى به .

نفحة من طيب عطره ورشحة من صيب قطره

(قال قَدَسَ اللّهُ سرَّهُ) أعلم يا أخي إن الذي لا بد منه وكلفنا الله به امتثال الأوامر واجتناب النواهي لقوله تعالى (ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) . وإذ كنا مأمورين بالإخلاص في ذلك وهو لا يتصور بدون الفناء بغير المحبة الذاتية وجب علينا أيضاً سلوك طريق الصوفية الموصلة للفناء والمحبة الذاتية حتى نتحقق حقيقة الإخلاص . ولما كانت طرق الصوفية متفاوتة بالكمال والتكميل ، كان كل طريق تلتزم فيه متابعة السنّة السنية وأداء الأحكام أولى وأنسب بالاختيار . وذلك الطريق هو طريق السادة النقشبندية قدس الله أسرارهم العلية . فإن هؤلاء الأكابر إلتزموا في هذه الطريقة متابعة السنة واجتناب البدعة . لاجوزون العمل بالرخصة ولو وجدوا ظاهراً أن له نفعاً في الباطن . ولا يتركون الأخذ بالعزيمة ولو علموا

صورةً أنه مضرٌ بالسيره . ويجعلون الأحوال والمواجيد تابعة للأحكام الشرعية والأذواق والمعارف خادمة للعلوم . ولايستبدلون الجواهر النفيسة الشرعية مثل الأطفال بجوز الوجد وزبيب الحال . هذا حالهم على الدوام ووقتهم . مُحيت نقوش السوى من بواطنهم بحيث لو تَلَكَّفُوا ألف سنة أن يتذكروها لايتيسر لهم ذلك التجلّي الذاتي ، الذي هو لغيرهم كالبرق دائم لهم . والحضور الذي يعقبه غيبة لا إعتبار له عند هؤلاء الأعزة رجال لاتلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله حالهم . ومع ذلك فطريقهم أقرب الطرق قطعاً وموصلة البتة . نهاية غيرهم مندرجة في بداية هؤلاء الأكابر ونسبتهم المنسوبة الى الصديق الأكبر رضي الله عنه فوق نسب جميع المشايخ لا يصل الى ذوق هذه السادة فهم كل أحد :

أولئك أبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جريير المجامع

وأى مناسبة بين أخصّ الخواص وبين كل زرّات ورقاص ولو ملئت الدفاتر في بيان خصائص أولئك الصفوة . وكلماتها لكان قطرة من بحر لانهاية له .

(وقال قدّس الله سرّه) السير والسلوك عبارة عن الحركة في العلم وهو من مقولة الكيف ، فلا مجال للحركة في الجسم هنا . (فالسير الى الله تعالى وهو السير الأول) عبارة عن الحركة العلمية التي هي السير من علم الأسفل الى علم الأعلى ، ومن ذلك الأعلى الى أن ينتهي بعد طي علوم الممكنات كلها وزوالها بأسرها علم الواجب تعالى ، وهذا هو المعبر عن نفسه بالفناء . (والسير في الله تعالى هو السير الثاني) عبارة عن الحركة العلمية في مراتب الوجود من الأسماء والصفات والشؤون والإعتبارات والتقدسيات والتنزيهات الى أن ينتهي الى المرتبة التي لا يمكن التعبير عنها بعبارة ولا يشار اليها بإشارة ولا تكتفى بكناية ولا يعلمها عالم ولا يدركها مدرّك . وهذا السير يسمى بالبقاء . (والسير عن الله تعالى وهو السير الثالث) عبارة عن الحركة العلمية التي هي التنزّل من علم الأعلى الى علم الأسفل ، وهكذا الى أن يرجع الى الممكنات وينزل عن المراتب الوجودية كلها ، وهو العارف الذي نسي الله بالله ورجع عن الله مع الله وهو الواجد الفائق الواصل من المهجور القريب البعيد . (والسير في الأشياء وهو السير الرابع) عبارة عن حصول علوم الأشياء تدريجياً بعد زوالها في السير الأول . فالسير الرابع مقابل للأول والثالث للثاني كما رأيت . فالسير الى الله والسير في الله لتحصيل الولاية التي هي عبارة عن الفناء والبقاء . والثالث والرابع لتحصيل مقام الدعوة المختصة بالرسول عليهم الصلاة والسلام ولكل التابعين نصيب منه أيضاً كما قال تعالى (هذه سبيلي أدمو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) .

(وقال قدّس الله سرّه) أعلم أن مشايخ الطريقة النقشبندية قدّس الله أسرارهم اختاروا السير في الإبتداء من عالم الأمر ويقطعون في ضمنه عالم الخلق . بخلاف مشايخ سائر الطرق فإن إبتداء سيرهم من عالم الخلق ثم بعد طي عالم الخلق يضعون القدم في عالم الأمر ويصلون الى الجذبة . فلهذا صارت الطريقة النقشبندية أقرب الطرق . فلاجرم نهاية الغير مندرجة في بدايتهم . (وقال قدّس الله سرّه) إنما اختار أكابر هذه الطريقة السير من عالم الأمر إبتداءً ورأوا أن ذلك أنسب وأولى ، لأن الترقّي إنما يكون من الأدنى الى الأعلى لا على العكس . وعالم الأمر أدنى وعالم الخلق أعلى ، ماذا أفعل هكذا مراد الواحد الصمد ما كشفوا سرّ هذا المعنى لأحد . ونظروا في سائر الطرق الى الصورة . فرأوا عالم الخلق أدنى فشرعوا في الإرتقاء من الأدنى الصوري الى الأعلى الصوري . وما عرفوا أن حقيقة الأمر بخلاف ذلك . فإن الأدنى في الحقيقة أعلى والأعلى أدنى ، فإن النقطة الأخيرة التي هي عالم الخلق أقرب الى النقطة الأولى التي هي

أصل الأصول ، وماتيسر هذا القرب لنقطة أخرى غيرها .

(وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) الولاية عبارة عن الفناء والبقاء وهي إما عامة وإما خاصة . ونعني بالعامة مطلق الولاية وبالخاصة الولاية المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والتحية . والفناء فيها أتمَّ والبقاء بها أكمل . ومَن شُرِّفَ بهذه النعمة العظمى فقد لَانَ جِلْدُهُ للطاعة وإنشرح صدره للإسلام وإطمأنت نفسه عن مولاها ورضي مولاها عنها وسلم قلبه لمقلِّبه وتخلَّصت لمكاشفة حضرة صفة اللاهوت وشاهدها سره مع ملاحظة الشؤون والاعتبارات . وفي هذا المقام يتشرف بالتجليات الذاتية البرقية ويتحير خفية بكمال التنزه والتقدس والكبرياء ، ويتصل أخفاه إتصلاً بلا كيف ولا ضرب من المثل . (وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) المانع من سرعة تأثير بعض سالكي هذه الطريقة العلية ووجدانهم اللذة والحلاوة التي هي مقدمة الجذبة ، مع أن ابتداء سيرهم من عالم الأمر هو أن عالم الأمر فيهم ضعيف بالنسبة إلى عالم الخلق الذي فيهم . ولا يزال هذا الضعف فيهم حتى يقوى عالم الأمر فيهم عن عالم الخلق . والذي يناسب لعلاج هذا الضعف في هذه الطريقة العلية التصرف التام من المرشد الكامل . وفي سائر الطرق تقديم تزكية النفس والمجاهدات والرياضات الشاقة الموافقة للشريعة المحمدية على صاحبها الصلاة والتحية .

(وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) إعلم أن أصل كلِّ بلاء إنما يكون من الإبتلاء بالنفس ، ومتى تخلَّص الإنسان منها تخلَّص من الإبتلاء بما سواه تعالى . فإن كان يعبد الأصنام فإنما يعبد نفسه في الحقيقة (أفرايت من اتخذ إلهه هواه) . خلَّ نفسك وتعال . وكما أن الخروج عن النفس والمرور عنها فرض ، كذلك الدخول إليها والغوص فيها لازم . فإن الوجدان إنما يكون فيها ولا يكون في الخارج عنها . السير الأفريقي بعد في بعد والسير الأنفسي قُرب في قُرب . فإن كان هناك شهود فني النفس أو معرفة فكذاك أو حيرة فكذاك . وليس في خارج النفس موضع قدم . فخالي الذهن يفهم الحلول والإتحاد من هنا ويقم في ورطة الضلال . إذ الحلول والإتحاد كفر والخوض في هذا المقام بالفكر قبل التحقق ذوقاً حرام . (وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) إعلم أن مراتب الكمال متفاوتة بحسب تفاوت الاستعدادات . والتفاوت في الكمال قد يكون بحسب الكمية وقد يكون بحسب الكيفية وقد يكون بهما معاً . فكمال البعض مثلاً بالتجلي الذاتي ، وكمال الآخر بالتجلي الصفاتي ، مع تفاوت بين جداً بين هذين التجليين وبين أربابهما . وكمال البعض بسلامة القلب وتخلَّص الروح وكمال الآخر بهما وبالشهود السري أيضاً . وكمال الثالث بهذه الثلاثة وبالحيرة المنسوبة إلى الخفي . وكمال الرابع بهذه الأربعة وبالإتصال المنسوب إلى الأخفى ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . وبعد حصول الكمال في أي مرتبة كانت من المراتب المذكورة . فبما رجوع تهفري أو ثبات واستقرار في ذلك الموطن . فالأول هو مقام التكميل والإرشاد ورجوع من الحق إلى الخلق للدعوة . والثاني هو موطن الإستهلاك والعزلة عن الخلق .

(وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) إعلم أن فيض الحق تعالى على الدوام للخواص والعوام سواء كان من قسم الأموال والأولاد أو من جنس الهداية والإرشاد من غير تفاوت . وإنما نشأ التفاوت من القبول وعدمه (وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) . فالشمس تشرق على الثوب وعلى القصار إشراقاً واحداً فيسود وجه القصار ويبيض الثوب . وعدم القبول لهذا السبب إعراض عن جناب الحق تعالى . فإن المُقبل عليه كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي (من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً) . والمعرض يعرض عنه كما قال صلى الله عليه وسلم "فأعرض فأعرض الله عنه جزءاً، وفاقاً" . قال تعالى (فأذكروني أذكركم)

و(نسوا الله فنسيهم) . وفي الحديث "إنما هي أعمالكم أحصيها لكم من غير زيادة ولا نقصان كما تدينون تدان" . فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه .

(وقال قدس الله سره) إن إزالة المرض القلبي في هذه الفرصة اليسيرة بالذكر الكثير من أهم المهمات . وعلاج العلة المعنوية في هذه المهلة القليلة من أعظم المقاصد . والقلب المبتلى بالغير لا يرجى منه خير . لا يقبلون هناك إلا سلامة القلب وخلص الروح . ونحن هنا دائماً في تحصيل أسباب ابتلائهما . هيئات هيئات (وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) .

(وقال قدس الله سره) في مبحث النفي والإثبات ؛ الكمال هو أن يكون شهود مرتبة الوجوب أيضاً مثل شهود مراتب الإمكان داخلاً تحت لا . فلا يلاحظ في جانب الإثبات إلا التفوه بكلمة المستثنى . والحق أن الفطرة العليا والهمة القصوى طالبة لمطلب عظيم لا تتناول إليه الأيدي ، بل لا يصل غبار الإدراك إلى ذيله . الرؤية الأخروية حق ، ولكن تصورها يفني . الناس مسرورون بالرؤية الأخروية الموعودة وليس ابتلائي بسوى غيب الغيب همّتي بكلّيتها أن لا يخرج المطلوب من الغيب إلى الشهادة أصلاً ولا من السماء إلى الشهود ، ولا من العلم إلى العين . ماذا أفعل هكذا خلقوني .

(وقال قدس الله سره) قال عليه الصلاة والسلام : "ما حدث قوم بدعة إلا رُفِعَ مثلها من السنة" . وعن حسان رضي الله عنه قال : "ما بدعت قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها ثم لا يعيدها إلى يوم القيامة" . بناءً عليه فبعض البدع التي قال العلماء إنها حسنة إذا تأملتها تجدها رافعة لسنة . مثلاً قالوا في تكفين الميت العمامة بدعة حسنة مم أن هذه البدعة رافعة لسنة . فإن الزيادة على العدد المسنون الذي هو ثلاثة أثواب نسخ والنسخ عين الرفع . وهكذا إرسال المشايخ العذبة من الجانب الأيسر استحسنوها والسنة في العذبة أن تكون بين الكتفين فظاهرة غاية الظهور . إن هذه البدعة رافعة لسنة . وكذلك ما استحسنه العلماء في نية الصلاة من التلّفظ بها باللسان مع وجود إرادة القلب . والحال أنه ما ثبت عنه عليه الصلاة والسلام لا برواية صحيحة ولا ضعيفة ولا عن الصحابة الكرام ولا التابعين العظام أنهم أتوا النية باللسان بل كانوا يكبرون تكبيرة التحريم حين تقام الصلاة . فالنية باللسان بدعة ويسمونها بدعة حسنة . والفقير يعلم أن هذه البدعة رافعة للفرض فضلاً عن السنة . فإن أكثر الناس يكتبون في جواز ذلك باللسان ولا يبالون بغفلة القلب . فيكون قد ترك في ضمن ذلك فرضاً من فرائض الصلاة ، الذي هو النية بالقلب فيؤدي ذلك إلى فساد الصلاة . وعلى هذا القياس سائر المبتدعات والمحدثات فإنها زيادات على السنة ولو بوجه من الوجوه ، والزيادة نسخ والنسخ رقم .

(وقال قدس الله سره) أعلم أن الولاية عبارة عن الفناء والبقاء والخوارق من لوازمها ، ولكن ما كل من كانت خوارقه أكثر تكون ولايته أتم وأكمل . بل تكون خوارقه أقل ولايته أتم وأكمل . ومدار كثرة الخوارق على شينين وهما : أن يكون الصعود في وقت العروج أكثر والهبوط في وقت النزول أقل ، بل الأصل العظيم في كثرة ظهور الخوارق هو قلة النزول كيف ما كان العروج . لأن صاحب النزول ينزل إلى عالم الأسباب فيجد الأشياء مربوطه بها ويرى فعل المسبب من ورائها ، والذي لم ينزل أو نزل ولكنه لم يصل إلى الأسباب فنظره مقصور على مسبب الأسباب والأسباب قد ارتفعت عن نظره . والحق سبحانه يعامل كل أحد على حسب ظنه . فيقضي أمر من يرى الأسباب بها ، ويقضي أمر من لا يرى الأسباب بدونها . قال تعالى في الحديث القدسي (أنا عند ظن عبدي بي) ولطالما كان يخطر ببالي أنه ما السبب في كون

الخوارق التي ظهرت على يد الشيخ عبدالقادر رضي الله عنه لم تظهر على يد كثير من كَمَلِ الأولياء السابقين حتى أطلعني الله تعالى على سر ذلك ، وهو انه كان عروجه أعلى من أكثر الأولياء ، وفي جانب النزول كان نزوله الى مقام الروح الذي هو فوق عالم الأسباب .

ومما يناسب هذا المقام ما حكى ان الحسن البصري رضي الله عنه كان واقفاً على شاطئ النهر ينتظر السفينة فجاء حبيب العجمي رضي الله عنه فوجده واقفاً ، فقال له : ماذا تنتظر ؟ قال : السفينة . فقال له : وأي حاجة الى السفينة أما لك يقين . فقال الحسن : أما لك علم . ثم مشى حبيب على الماء وبقي الحسن حتى ركب السفينة . فلما كان الحسن نازلاً الى عالم الأسباب عاملوه بها وحبيب لم ينزل فعاملوه بدونها . والفضل للحسن فإنه صاحب علم جمع بين علم اليقين وعين اليقين وعرف الأشياء كما هي . وفي نفس الأمر جعلت القدرة مستورة خلف الحكمة وحبيب العجمي صاحب سكرٍ وله يقين بالفاعل الحقيقي من غير أن يرى للأسباب مدخلاً . وهذه الرؤية غير مطابقة لما في الواقع . فإن توسط الأسباب كانت وحاصل . وأما شأن التكميل والإرشاد فهو بعكس طريق ظهور الخوارق . فإن في مقام الإرشاد كلما كان نزوله أكثر كان في الإرشاد أكمل ، لأنه لا بد من حصول المناسبة بين المرشد والمسترشد وذلك منوطاً بالنزول .

وإعلم أنه كلما كان الصعود أعلى يكون الهبوط أنزل . فلهذا لما كان ترقّي نبينا عليه الصلاة والسلام أعلى وأرقى من ترقّي جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كان نزوله أقوى من الجميع . فكانت دعوته أتمّ ولذلك أرسل الى كافة الأنام . فإنه بسبب نهاية النزول حصل المناسبة بالجميع ، فصار طريق الإفاضة فيه أتمّ . وربما تحصل الإفاضة من المتوسطين في هذا الطريق أكثر من المنتهين الذين مارجعوا . لأن مناسبة المتوسط للمبتدئ أكثر من ذلك فمدار كثرة الإفاضة وقتلها على الهبوط والرجوع لا على الإنتهاء وعدمه . وههنا دقيقة وهي : كما انه ليس من شرط الولاية علم الولي بنفسه ولايته كما هو المشهور ، كذلك ليس من شرطها علمه بخوارقه . فربما ينقل الناس عنه خوارق شتى وهو لا علم له بها . وكان شيخنا قدس الله سره يقول : "العجب أن الناس يأتون الي من الأكناف والأطراف فبعضهم يقول رأيناك في مكة وبعضهم يقول رأيناك في بغداد فيُظهرون الصحبة والمعرفة والحال أني ماخرجت من بيتي فما هذا الإفتراء" .

(وقال قدس الله سره) مايفهم من عبارات بعض الصوفية منه أنه تعالى محتاج اليها في ظهور كمالات الأسماء والصفات هو كلام ثقيل على الفقير جداً . فإن المقصود من خلقهم حصول الكمالات لهم لا كمال عائد الى جناب قدسه تعالى . ويؤيد هذا المعنى آية (وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) أي ليعرفون . أي لحصول المعرفة لهم التي هي كمالهم ، لا كمال عائد الى جناب الحق سبحانه وتعالى . وما ورد في الحديث القدسي من قوله تعالى (فخلقت الخلق لأعرف) المراد منه أيضاً معرفتهم لا اني أصير معروفاً وبواسطة معرفتهم أحصل كمالاً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

(وقال قدس الله سره) في تحقيق إحاطة الحق وسريانه : إعلم أن إحاطة الحق سبحانه وتعالى بالأشياء أو سريانه فيها كإحاطة المجلد بالمفصل وسريانه فيه . كالكلمة مثلاً فإنها سارية في جميع أقسامها من الإسم والفعل والحرف . وكذا في أقسام الأقسام من الماضي والمضارع والأمر والنهي والمصدر واسم الفاعل والمفعول والمستثنى المتصل والمنقطع والحال والتمييز والثلاثي والرابعي والخماسي والحروف الجارة والناصبة ، والحروف المختصة بالأفعال والحروف المختصة بالأسماء ، والحروف الداخلة عليهما الى غير ذلك

من الأقسام الحاصلة من التقسيمات غير المتناهية . فهذه الأقسام كلها غير الكلمة ، بل كلها إعتبارات مندرجة تحت الكلمة ما زادت في تفصيلها وتميزها عن الكلمة . وفي تميز بعضها عن بعض غير إعتبار العقل في الذهن . وأما في الخارج فليست إلا الكلمة ، فلماذا صمّ الحمل . ولكن لكل مرتبة من المراتب اسم يختص بها وأحكام لا توجد في غيرها . مثلاً الدال على المعنى بالإستقلال مع الإقتران بالزمان فعل وبغير الإقتران اسم ، وغير الدال على المعنى بالإستقلال حرف . وكذا المقترن بالزمان الماضي فعلاً ماضٍ وبالزمان الحال والإستقبال فعل مضارع . وما وجد فيه علتان من العلق التسعة المشهورة فغير منصرف وإلا فمنصرف . وحروف عملها الجرّ جارة وحروف عملها النصب ناصبة . فإطلاق اسم مرتبة على مرتبة أخرى وإجراء أحكام إحداها على الأخرى كإطلاق الفعل الماضي على المضارع والمنصرف على غير المنصرف والجارّة على الناصبة مع كون المراتب كلها ليست إلا الكلمة ضلالة محضة وخروج عن الصراط السوي . إذا تقرر هذا فنقول والله سبحانه أعلم : إن لكل مرتبة من مراتب تنزل الوجود سبحانه وتعالى اسماً مختصاً بها وأحكامها لا توجد إلا بها . فالوجوب الذاتي والإستغناء الذاتي مختص بمرتبة الجميم والألوهية . والإمكان الذاتي والإفتقار الذاتي مختص بمرتبة الكون والفرق . والمرتبة الأولى مرتبة الربوبية والخالقية ، والمرتبة الثانية مرتبة العبودية والمخلوقية . فلو أطلق اسم مرتبة على مرتبة أخرى وأجريت أحكام مختصة بمرتبة على مرتبة أخرى لكان زندقةً صرفاً وكفراً محضاً . والعجب من بعض الملاحدة والزنادقة أنهم كيف يخلطون المراتب بعضها ببعض ويجرون أحكام بعضها على بعض . فيصفون الممكن بصفات الواجب ، والواجب بصفات الممكن ، مع علمهم بتميز صفات الممكن الذي هو مرتبة واحدة بعضها عن بعض وإختلاف حكم كل واحد منها ، وعلمهم بعدم زوال ذلك التمييز وذلك الإختلاف وكل ذلك في مرتبة واحدة . فإنهم يعلمون بالبدهة مثلاً أن الحرارة والإشراق من صفة النار المختصان بها ولا توجد واحدة منهما في الماء ولا يوصف بهما الماء . وكذا البرودة والرطوبة المختصتان بالماء ولا توجدان في النار . وكذا يميزون بالضرورة بين أزواجهم وأمهاتهم ويحكمون بتفرقة أحكامهما والله الهادي الى سبيل الإرشاد .

(وقال قدّس الله سرّه) ورد في الحديث الشريف "العلماء ورثة الأنبياء" فالعلم الذي بقي عن الأنبياء نوعان : علم الأحكام وعلم الأسرار . والوارث هو الذي يكون له من كلا النوعين نصيب والذي يكون له نصيب من نوع واحد فليس بوارث . إذ الوارث له نصيب من جميع أنواع تركة المورث لا من بعض دون بعض . والذي له نصيب من نوع واحد داخل في الغرماء الذين تعلّق نصيبهم بجنس حقهم . وكذلك ورد في الحديث "علماء أمّتي كأنبياء بني إسرائيل" فالمراد من العلماء (العلماء الوارثون لا الغرماء الذين أخذوا نصيباً من بعض التركة) . فإن الوارث بواسطة القرب والجنسية يقال أنه مثل المورث بخلاف الغريم فإنه خال عن هذه العلاقة . فالذي لا يكون وارثاً لا يكون عالماً إلا أن نخصّ علمه بنوع واحد فنقول عالم بعلم الأحكام . والعالم المطلق هو الذي يكون وارثاً ويكون له من كلا نوعي العلم نصيب وافر . وأكثر الناس يظنون أن علم الأسرار عبارة عن علم توحيد الوجود وشهود الوحدة في الكثرة ومشاهدة الكثرة في الوحدة وكناية عن معارف الإحاطة وسريان الوجود والقرب ومعيته تعالى على النهج المكشوف والمشهود لأرباب الأحوال . حاشا وكلاً أن تكون هذه العلوم والمعارف من علم الأسرار وتليق بمرتبة النبوة . فإن مبنى هذه المعارف سكر الوقت وغلبة الحال المنافي للحضور . علم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام سواء كان علم الأحكام أم علم الأسرار كله صحو في صحو مآزجه شمة من السكر . إنما هذه المعارف من أسرار الولاية للذين لهم

قدم راسخ في السُّكْرَ لا من أسرار النبوة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وإن كان لهم ولاية ولكن أحكامها مغلوبة ومضمحلة في جنب أحكام النبوة .

(وقال قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ) أعلم أن كل مسألة يكون فيها خلاف بين العلماء والصوفية إذا تأملت ودققت النظر تجد الحق مع العلماء . وسر ذلك أن نظر العلماء بواسطة متابعة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام نافذ الى كمالات النبوة وعلومها . ونظر الصوفية مقصور على كمالات الولاية ومعارفها . فتكون العلوم المأخوذة عن مشكاة النبوة أصوب قطعاً من العلوم عن رتبة الولاية .

(وقال قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ) أعلم أن السماء والوجد ينعم جماعة متصفين بتقلب الأحوال ومتسمين بتبدل الأوقات ، فوقتاً حاضرون ووقتاً غائبون ، ووقتاً فاقدون ووقتاً واجدون ، وهم أرباب القلوب في مقام التجليات الصفاتية ينتقلون من صفة الى صفة ويتحولون من اسم الى اسم . وتلون الأحوال نقد وقتهم وتشئت الآمال حاصل مقامهم يستحيل في حقهم دوام الحال ويمتنع استمرار الوقت فزماناً في قبض وحيناً في بسط . فهم أبناء الوقت والمغلوبون وأرباب الأحوال والمقهورون ، فتارة يعرجون وأخرى يهبطون . وأما أرباب التجليات الذاتية الذين خلصوا من مقام القلب بالكلية ووصلوا الى مقلبه وحُرُّوا عن رِقِّ الحال الى محوِّله ، فلا يحتاجون الى السماء والوجد فإن وقتهم دائم وحالهم سرمدى بل لا وقت لهم ولا حال ، فهم آباء الأوقات وأرباب التمكين وهم الواصلون الذين لا رجوع لهم أصلاً ولا فقد لهم قطعاً . فمن لا فقد له لا وجد له .

(وقال قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ) أيها الأخ رأس هذه الطريقة العلية ورئيس هذه السلسلة السنية الصديق الأكبر الذي هو بعد النبيين أفضل البشر رضي الله عنه . وبهذا الاعتبار قال أكابر هذه الطريقة أن نسبتنا فوق جميع النسب إذ نسبتهم عبارة عن الحضور الخاص ونسبتهم وحضورهم نسبة الصديق وحضوره ، الذي هو فوق جميع النسب والحضورات . ومن خصائص هذه الطريقة العلية إدراج نهايتها في بدايتها . قال الشيخ النقشبند قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ العزيز :

"نحن أدرجنا النهاية في البداية . فإن قيل إذا كانت نهاية غيرهم مندرجة في بدايتهم فماذا تكون نهايتهم ؟ وأيضاً إذا كانت نهاية غيرهم الوصول الى الحق فإلى أين يكون سيرهم عن الحق وليس وراء عبادات قرية ؟ فالجواب أن نهاية هذه الطائفة العلية إن تيسر هي الوصل العريان الذي علامة حصوله اليأس عن حصول المطلوب . فافهم فإن كلامنا إشارة لا يدركها إلا الأقل من الخواص بل أخص الخواص . وإنما ذكرت علامة هذه السعادة العظمى لأن جماعة من هذه الطائفة تكلموا في نهاية هذا الطريق وتخيلوا أنها هي الوصل العريان . وجماعة أخرى ظنوا أنها هي اليأس من حصول المطلوب ، وإذا عرض عليهما جمعاً كادوا يعدون ذلك من جمع الضدين وأنه محال . فالذين يدعون الوصل يقولون اليأس حرمان والذين يدعون اليأس يقولون الوصل عين الفصل . وكل ذلك من علامة عدم الوصل الى تلك المنزلة العلية . غاية ما في الباب أن بارقة من ذلك المقام العالي برقت على بواطنهم . فجماعة تخيلوها الوصل وأخرى اليأس ، وهذا التفاوت من تفاوت استعداداتهم . فيناسب استعداد طائفة الوصل ويوافق استعداد طائفة اليأس . وعند الحقير أن استعداد اليأس أحسن من استعداد الوصل وإن كان الوصل واليأس هنا متلازمين . وفهم من هذا جواب الاعتراض الثاني أن الوصل المطلق أمر والوصل العريان أمر وشتان ما بينهما . ونعني بالوصل العريان رفع الحُجُب كلها ، ولما كان أعظم

الحُجُب وأقواها التجليات المتنوعة والظهورات المختلفة ، فلا بد أن تنقضي تلك التجليات والظهورات بتمامها ، سواء كان التجلي والظهور في المرايا الأمكانية أو المجالي الوجودية فأنهما في نفس الحجب سواء وإن كان بينهما تفاوت في الشرف والرتبة فذلك أمر خارج عن نظر الطالب .

فإن قيل يلزم من البيان أن يكون للتجليات نهاية . والحال أن مشايخ الطريقة صرحوا بأن التجليات لا نهاية لها ؟ فالجواب أن التجليات لا نهاية لها على تقدير وقوع السير الى الأسماء والصفات على سبيل التفصيل . فعلى هذا التقدير لا يتيسر الوصول الى حضرة الذات ولا يحصل الوصل العريان ، والوصول اليها موقوف على طي الأسماء والصفات على سبيل الإجمال . فيكون حينئذ للتجليات نهاية . فإن قيل التجليات الذاتية أيضاً قد قيد بأنها لا نهاية لها فكيف يصح لكم أن تقولوا بأنه لها نهاية ؟ فالجواب إن التجليات الذاتية لا تكون بدون ملاحظة الشؤون والإعتبارات . إذ التجلي بدون هذه الملاحظة لا يمكن والذي نحن في صدد بيانه أمر وراء التجليات صفاتية أو ذاتية . إذ لا يجوز إطلاق التجلي في ذلك الموطن أي تجلّ كان . لأن التجلي عبارة عن ظهور الشيء في المرتبة الثانية أو الثالثة أو الرابعة الى ماشاء الله . وهنا سقطت المراتب بالكلية وطويت المسافة بالتمام .

فإن قيل إن تلك التجليات بأي إعتبار تكون ذاتية ؟ فالجواب أن التجليات إن كانت مع ملاحظة معانٍ زائدة على الذات صفاتية . أو مع ملاحظة معانٍ غير زائدة على الذات فذاتية . ولهذا قالوا إن ظهور الوحدة هو التعيين الأول وليس بزائد على الذات تجلّ ذاتي . ومطلبنا حضرة الذات التي لا محل لملاحظة المعاني معها أصلاً ، سواء كانت زائدة أو لا . إذ المعاني قد طويت على طريق الإجمال وتيسر الوصول الى الذات . وينبغي أن يعلم الوصل في ذلك الموطن مثل المطلوب بلا كيف ولا كيفية أيضاً ليس الوصل المتعارف . فإنه لا يليق بذلك الجنب المقدس تعالى وتقدّس ، ولا سبيل لذي الكيف الى اللاكيف "لا يحمل عطايا الملك إلا مطاياها" . وماتكلم أحد من مشايخ هذه الطريقة على نهايتها ، بل تكلموا على بدايتها وقالوا إن نهايتها مندرجة في بدايتها . فإذا كانت بدايتها ممتزجة بالنهاية فينبغي أن تكون النهاية مناسبة لتلك البداية . وهو الذي إمتاز هذا الفقير باظهاره فله سبحانه الحمد والمِنَّة على ذلك . (أيها الأخ) الواصلون الى هذه النهاية من هذا الطريق ومن سائر الطرق أقل قليل يكاد إذا عدّت أفرادهم أن يستبعده الأقربون فضلاً عن إستبعاد الأبعدين وإنكارهم وحصول هذا الكمال ووصول نهاية النهاية إنما كان بركة إتباعه عليه الصلاة والسلام .

(وقال قدّس الله سرّه) في بيان الفرق بين الصحابة والأولياء ومنشأ كل منهما : إعلموا أن القرب المنوط بالفناء والبقاء وبالسلوك والجُذبة ، هو قرب الولاية الذي تشرف به أولياء هذه الأمة . والقرب الذي تيسر للصحابة الكرام في صحبته عليه الصلاة والسلام قرب النبوة الذي حصل لهم بالتبعية والوراثة . وليس في هذا القرب فناء ولا بقاء ولا جُذبة ولا سلوك . وهذا أعلى وأفضل من قرب الولاية بمراتب . فإن هذا القرب قرب أصل وذلك قرب ظلّ وشتان بينهما ، ولكن لا يصل فهم كل أحد الى ذوق هذه المعرفة . وربما شارك الخواص العوام في فهمها . نعم إن وقّع السير والعروج الى ذروة كمالات قرب النبوة من طريق قرب الولاية فلا بد من الفناء والبقاء والجُذبة والسلوك . فإت هذه مقدمات ذلك القرب ومبادهيها . وأن وقع من جادة قرب النبوة فلا يحتاج فيها الى المقدمات المذكورة . والصحابة الكرام ساروا من جادة قرب النبوة الذي لا تعلّق له بتلك المقدمات . وهذا الفقير كتب في رسائله إن معاملتي وراء السلوك

والجُذبة ووراء التجليات والظهورات . فالمراد منه هذا القرب والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسد ربنا بالحق .

(وقال قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ) أعلم أن المعارف التي تناسب مقام الولاية شطحات المشايخ وعلوم تُخبر عن التوحيد والإِتِّحاد ، وتنبيء عن الإحاطة والسريان ، تشير الى القرب والمعية وتشعر بالظلية والمرآتية وتثبت الشهود والمشاهدة . وبالجملة فمعارف الأولياء الفصوص والفتوحات المكية ومعارف الأنبياء الكتاب والسنة . ولاية الأولياء تخبر عن قرب الحق تعالى ، وولاية الأنبياء تخبر عن أقربيته تعالى . ولاية الأولياء تدل على الشهود ، وولاية الأنبياء تثبت نسبة مجهولة الكيف . ولاية الأولياء لاتعرّف الأقربية والجمالة ماهي . وولاية الأنبياء مع وجود الأقربية تعرّف القرب عين البعد والشهود نفس الغيبة .

(وقال قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ) أعلم أن الشريعة والحقيقة متحدان في الحقيقة لا تغاير بينهما ولا فرق إلا بالإجمال والتفصيل . فالشريعة إجمال والحقيقة تفصيل . وبالإستدلال والكشف فالشريعة إستدلال والحقيقة كشف . وبالغيب والشهادة فالشريعة غيب والحقيقة شهادة . وبالتعمُّ وعدمه فالشريعة تعمُّ وتكَلَّف والحقيقة لا تعمُّ فيما ولا تكَلَّف . فالأحكام والعلوم التي ثبتت وتبينت بموجب الشريعة الغراء هي التي تتبيّن بعينها بعد التحقُّق بحقيقة حق اليقين وتتكشف بالتفصيل وتظهر من الغيب الى الشهادة . ويرتفع تمحل العمل من البين وعلامة الوصول الى حقيقة حق اليقين مطابقة علومه ومعارفه لعلوم الشريعة ومعارفها . مادامت المخالفة موجودة ولو بأدنى شعرة فذلك دليل على عدم الوصول . وكل خلاف وقع من كافة مشايخ الطرقات للشريعة فهو مبني على سُرِّ الوقت وهو لا يكون إلا في أثناء الطريق . والمنتهمون الى نهاية النهاية كلهم في الصحو والوقت مغلوب لهم والحال المقام تابع لكمالهم . فتحققت أن مخالفة الشريعة علامة على عدم الوصول الى الحقيقة . وما وقع في عبارات بعض المشايخ من أن الشريعة قشر والحقيقة لب . فهذا الكلام وإن كان مُشعراً بعدم إستقامة قائله ولكن يمكن أن يكون مراده أن المجمع بالنسبة الى المفصل حكمه حكم القشر بالنسبة الى اللب وأن الإستدلال بالنسبة الى الكشف كالقشر بالنسبة الى اللب . وأما الأكاير أولوا الأحوال المستقيمة ، فإنهم لايجوزون الإتيان بمثل هذه العبارات الموهمة ولايفرقون بينهما إلا بما ذكرنا . (سُئل) الشيخ النقشبند قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ ماالمقصود من السير والسلوك ، فقال : " أن تصير المعرفة الإجمالية تفصيلية والإستدلال كشافياً رزقنا الله سبحانه وتعالى الثبات والإستقامة على الشريعة" اه .

(وتأليفه) الحافلة كافلة لنشر عوارف معارفه والبرهنة على عظمة مواهب مشاربه . أجلاً مكتوب باللغة الفارسية وتقدّمت الإشارة إليه و"رسالة إثبات النبوة" و"رسالة المبدأ والمعاد" و"المكاشفات الغيبية" و"آداب المريدين" و"المعارف اللدنية" بيّن فيها أحواله ومقاماته الخاصة . ورسالة في الرد على الشيعة وتعليقات على "عوارف المعارف" وشرح الرباعيات لعبدالباقى وغيرها . فمن له لوعة على عزة المطلوب فليرجم إليها فإنه يجد فيها ماتسجد له القلوب .

(توفي رضي الله عنه) سابع عشرى صفر الخير سنة أربع وثلاثين وألف وسنّه ثلاث وستون . ودُفن في مدينة سمرند وجاء تاريخ وفاته رفيع المراتب . ولقد نظمت هاتين الكلمتين فقلت :

الإمام الرّياني لما توفي جاء تاريخه (رفيع المراتب) ١٠٣٤هـ

وله من الخلفاء العارفين فئة كثيرة من أجلهم :

العارف بالله تعالى مولانا الشيخ حميد قدّس سرّه . أرسله الى بلاد بنكاه وأعطاه نعله المباركة ، فقضى بها الحوائج وشفى بها المرضى وكانت له آية عظيمة . والمرشد الكامل مولانا الشيخ حسن البركي قدّس سرّه . والعارف بالله تعالى الشيخ نور الفتني قدّس سرّه أخبر سيدنا المجدد رضي الله عنه أنه من رجال الغيب النجباء . والإنسان الكامل الشيخ بديع الدين السهارنفوري قدّس سرّه رأى في واقعة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له أنت سراج الهند . والعالم بالله تعالى الشيخ أحمد البركي قدّس سرّه . ربّاه سيدنا المجدد عطر الله تربته في جمعة وأمره بإرشاد بلاده خراسان . وصفوة الأولياء الشيخ محمد طاهر اللاهوري قدّس سرّه . إنتهت اليه رياسة الطريقة في لاهور ورأى في واقعة أنه في الروضة المطهرة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثه ويكلّمه ثم بشّره بأن من يابِعك فهو مغفور له ومن رأى وجهك نجا من النار . والولي الكامل مولانا السيد الشيخ آدم البنوري قدّس سرّه . كان إذا توجه للمريد بل إذا لقّنه الذكر يوصله الى فناء القلب . ولقد قبله الحقّ تعالى وأعطاه طريقة جديدة تسمى الأحسنية . فهدى الله به أكثر من ألف وتكمّل على يده ألف خليفة وبشّر بلواء أخضر يوم القيامة يستظل في ظله من توسّل به ويغفر له . ولما قدم المدينة المنورة وسلّم على جدّه فخر الأمم صلى الله عليه وسلم سمع منه رد السلام ومدّ اليه يده المقدّسة وصافحه وقال يا ولدي كن في جوارى ، فبقي في المدينة حتى لقي ربه . وقطب زمانه السيد الشيخ نعمان البدخشي قدّس سرّه . بلغ استيلاؤه بالإرشاد على قلوب العباد أن خاف السلطان منه على ملكه وكتب له المجدد قدّس الله سرّه لقد قابل هلاك هلاك شمس الهداية فبانعكس عليه جميع أنوارها فصار بداراً كاملاً . ورأى في واقعة رسول الله صلى الله عليه وسلم يثني على حضرة المجدد ويقول كل من قبله الشيخ أحمد قبله رسول الله وكل من رده رده الله ورسوله وكذلك أنت يا ولدي . وكعبة الإرشاد الشيخ محمد الصديق البدخشي قدّس سرّه . ومنهل الإمداد مولانا الشيخ أحمد الديبيني قدّس سرّه . وتحفة الواصلين الشيخ عبدالحى البلخي قدّس سرّه . والإمام الجليل مولانا مزمل قدّس سرّه . وبحر العرفان الشيخ هاشم الكشمي قدّس سرّه . وزينة أهل الله الشيخ يار محمد قديم الطالقاني قدّس سرّه . وروضة الصلاح الشيخ محمد أشرف الكابلي قدّس سرّه . وزبدة الكاملين الشيخ حسن عبدالكريم الأبدالي قدّس سرّه . ونفحة العرفان الشيخ صفر أحمد الرومي قدّس سرّه . والعلامة الواصل العارف الكامل الشيخ عثمان اليمنى قدّس سرّه . وعالم الأولياء في وقته الشيخ عبدالعزيز النحوي الحنبلي قدّس سرّه . وبحر المحققين العارف بالله مولانا الشيخ علي المالكي قدّس سرّه . ومظهر العلوم الإلهية مولانا الشيخ علي الطبري الشافعي قدّس سرّه .

وغيرهم من أهل الفضول والمعارف ممن إنتشر ببركتهم وبأصحابهم في العالم أنوار الشريعة وأسرار الحقيقة قدّس الله أرواحهم الطاهرة .

(وأما أنجاله الأنجاب) فهم بين نجباء وأقطاب ؛ أكبرهم شمس المعارف العالم العارف شيخ السلسلة القادرية الشيخ محمد سعيد خازن الرحمة قدّس سرّه ، وقطب الأولياء العارف وأعظم المرشدين المكملين شيخ هذه السلسلة النقشبندية وأكمل من سرى اليه سرّ هذه النسبة المحمدية سيدنا الشيخ محمد المعصوم العروة الوثقى قدّس سرّه .